المجلة العربية للعلوم الانسانية

النسوية: فكرها واتجاهاتها

نورة فرج المساعد*

* حصلت على الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة مانشستر ببريطانيا عام 1994 .
تعمل أستاذة مساعدة بقسم الاجتماع ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة .

AJH
2000

الملخص

إن إلقاء الضوء على أهم اتجاهات الفكر النسوي وتياراته هو الهدف الأساسي لهذه الورقة ؛ وذلك لأن النسوية ـ حتى برغم ما قد يحمله الكثير من تحفظ ورفض لتنظيرها ومبادئها ـ تستطيع أن تقدم رؤيةً وتحليلاً أعمق لبعض من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وبالتحديد تلك التي تكون المرأة طرفاً فيها . إن ما تخضع له النسوية من تعديل وإعادة صياغة قد يفوق ما تمر به المدارس الفكرية الأخرى ؛ وذلك لأنه ـ وحتى الآن وربما لوقت طويل ـ سيظل بحث النسويات مستمراً للطريقة التي ستتحرر بها النساء من الأطر الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والقانونية ، والقيمية التي قدمت لهن حقوقاً وفرصاً أقل من الرجال .

وتظل النسوية مثل العديد من النظريات الفلسفية تدمج عدة عناصر . ولذلك من الصعب لأي قائمة محدودة أن تكون شاملة . ولكن على الرغم من ذلك ، يمكن للعديد من المنظرات النسويات تحديد اتجاهاتهن بين الليبرالية ، والماركسية المتطرفة ، والاشتراكية ، والتحليل النفسي ، والوجودي ، وما بعد الحداثة . وتناقش الورقة المقولة القائلة بأن جميع هذه التيارات ـ على الرغم من اختلافاتها الجوهرية ـ تطرح مسألة المرأة من خلال تفسير وتحليل لوضع المرأة بما يتوافق مع اتجاهات تلك التيارات المنهجية ؛ سواء كان ذلك التحليل يربط اضطهاد المرأة بالبيئة والتنشئة الاجتماعية ، أو النظام البطريكي ، أو نظام العمل والإنتاج ، أو الأوديبية ، وما قبل الأوديبية ، أو المرأة بوصفها آخر .

كذلك تعرض الورقة بعض الأفكار المرتبطة بالنسوية غير الغربية (النسوية في العالم الثالث والنسوية في العالم العربي) . . التي ، وإن كانت تتفق مع النسوية العالمية في المفاهيم العامة ، إلا أن تلك المفاهيم وحدها غير كافية لتفسير وضع المرأة وتحليله في تلك المجتمعات . وعلى الرغم من أن الاستعمار والإمبريالية هما جزء من طرح نسويات العالم الثالث ، إلا أن نسويات العالم العربي يركّزن على الثقافة الموروثة ، ونظام القيم في طرحهن ، محاولات بذلك إثبات هويتهن وخصوصيتهن من خلال تلك الثقافة .

مقدمة

ينظر البعض إلى النسوية بشكل عشوائي على أنها أبعد من أن يطلق عليها نظرية ؛ فهي بالنسبة لهم مجرد خليط عشوائي لمجموعة انتقادات تنظيرية تجد صعوبة في تقديم تحليل نظري لدونية المرأة . وعلى النقيض من ذلك ، يرى البعض أن النسوية ليست نظرية واحدة ، وإنما هي عدة نظريات وتيارات ؛ كل منها يتناول رؤية لقضية اضطهاد المرأة ، محللاً أسبابها ونتائجها ، وواضعاً استراتيجيات لتحريرها .

وعلى الرغم من عدم وجود تعريف أو مفهوم واحد للنسوية ، يمكن القول بأنها مجموعة أفكار مترابطة لحركة اجتماعية ، أو موقف اجتماعي تهدف إلى التغيير . وهي في مجملها معنى واسع يرتكز على المطالبة بحق المرأة السياسي والقانوني ، وحق الاستقلال الجنسي ، وحق تساوي الفرص ، وحق تقرير المصير (الحق بالإجهاض واستخدام موانع الحمل) ، وقد تشكل كل ذلك نتيجة الاعتراف بالوضع الأدنى للمرأة ، والناتج عن التمييز وعدم المساواة . النسوية لم تكن في يوم من الأيام حركة موحدة واحدة ، ولكن تكونت من تيارات مختلفة . ويظل القول بأن الاختلاف الواضح داخل هذه المدرسة يكمن في اتجاهين : أحدهما يرتبط بتأييد حق المرأة القائم على التشابه ، ويركز على أن المرأة إنسان تماماً كالرجل ، ولذلك لابد أن تُعطى الحقوق نفسها ، واتجاه يقوم على الاختلاف يقول بأن النساء يختلفن عن الرجال ، ولذلك لابد أن يُعطى لهن الحق بتمثيل وتقديم أنفسهن .

وتعقُّب بدايات الحركة النسوية أمر ليس باليسير ، ولا يُمكن إرجاعه إلى زمن محدد ، ولكن يمكن القول بأنه ـ حتى العصور الوسطى ـ كان هناك مناهضون لطبيعة المرأة وحقوقها . ولكن من المؤكد تاريخيّاً أن الفترة من 1790 - 1860 شهدت بدايات الحركة النسوية ، وذلك لأن هذه الفترة امتازت بالأفكار التنويرية Enlightenment ؛ مثل حقوق الإنسان ، والارتكاز على القوانين الطبيعية . يضاف إلى ذلك أن كلاً من الثورة الفرنسية والأمريكية أثارت قضايا ذات ارتباط بحقوق المرأة . وفي العام 1792 كتبت ماري وولستونكرافت Mary Wollstonecraft وثيقة نسوية مهمة بعنوان «الدفاع عن حقوق المرأة A Vindication of the Rights of Women».

وكـان للحركـة النسـائية المنادية بإعطاء المرأة حق التصـويت ، والتي نشـأت وتطورت في الفترة من 1860 - 1930 الفضل في توحيد النساء باختلاف خلفياتهن الطبقية ، والعرقية ، والثقافية . من خلال هذه الحركة ، أدركت النساء أنه لا يمكن الاعتماد على الأحزاب السياسية والاتحادات العمالية من أجل المساندة ، وأنه لابد لهن أن يحاربن بأنفسهن من أجل تحقيق المساواة والعدل .

وكذلك كان لدراسات فرويد ، وخاصة تلك المرتبطة باللاشعور (نلفت النظر إلى أن الدراسة النسوية السابقة لفرويد اعتمدت في تحليلاتها على الاختلافات البيولوجية) دورها في تحويل دراسات المرأة ـ وخاصة تلك المرتبطة بالمفاهيم الجنسية ـ من السطح إلى ما هو موجود تحت السطح . وساعدت تلك الدراسات أيضاً على استعراض اضطهاد المرأة وفهمه في ظل النظام البطريكي . وقد خضعت دراسات فرويد ـ فيما بعد ـ للكثير من الانتقادات من قبل النسويات ، وانحصر تأثيرها على دراسات النسويات الفرنسيات فقط .

وكانت حركة تحرير المرأة التي ظهرت في الستينيات نتيجة للمظاهرات التي نظمت من قبل الطلبة ، والعمال السود والنساء ، لا سيما في أمريكا وفرنسا ، قد أثبتت أن الفروق العرقية والطبقية كان لها الأثر القليل الذي لا يذكر في هذا التوحد ، وكان لكتابات سيمون دي بوفوار Simon de Beauvoir "The Second Sex" 1949 وبيتي فريدان Betty Friedan "The Feminine Mystique" 1963 وكيت ميليت Kate Millett "Sexual Politics" 1969 دور كبير في نشأة الحركة . حيث طرحت ونوقشت ـ ولأول مرة ـ الكثير من الموضوعات ، ابتداء من العمل ، وحتى فراش الزوجية ، وظهرت عبارة «الشخصي يصبح سياسيّا» شعاراً لانطلاق النسوية .

إن النسوية مثل أي نظرية فلسفية عريضة الأسس يصعب تحديدها ، ولكن من اتجاهاتها ما يمكن التعرف عليه ؛ كالاتجاه الليبرالي ، والماركسي المتطرف ، والسيكولوجي / التحليلي النفسي ، والوجودي ، وما بعد الحداثة . جميع هذه الاتجاهات تقدم بعض الإجابات عن التساؤلات حول النساء ؛ جميعها تندد بالطرق

الاضطهادية التي تتعرض لها النساء ، وتحتفي بالطرق المتعددة التي استطاعت من خلالها بعض النساء التغلب على الأنظمة المكبلة لها ، وبعدها الحصول على حقهن في تقرير المصير ، وتشجعهن على الحياة والحب والضحك والشعور بالسعادة بوصفهن نساء .

1 - الاتجاه الليبرالي

ترى تونغ (Tong)[1] (1992) أن الاتجاه النسوي الليبرالي liberal feminism هو أفضل المداخل لمعرفة أفكار النسوية وأسسها ـ حتى وإن كان الكثير مما يؤخذ به الآن في جوهره مخالفاً ومناهضاً لهذا الاتجاه . ويؤكد الاتجاه الليبرالي أن المجتمع يتجه نحو الاعتقاد والإيمان بأن قدرة النساء العقلية والجسدية ـ بحكم طبيعتهن ـ أقل من قدرة الرجال ، ولذلك فقد تم عزل النساء عن الأجواء الأكاديمية والاقتصادية والحياة العامة . ونتيجة لسياسة العزل تلك ، ظلت القدرات الحقيقية لكثير من النساء غير مكتملة . ويرى الليبراليون أنه إذا قدمت للنساء وللرجال فرص واحدة في التعليم والحقوق المدنية ، فمن الطبيعي أن يتقدم النساء والرجال بالمقدار عينه . ولتحقيق العدل والإنصاف الجنسي ـ كما يؤكد الاتجاه الليبرالي ـ يتعين علينا أولا أن نجعل قواعد التعامل الاجتماعي عادلة ، وثانياً أن نتأكد من أن أياً من المشاركين في العمل لمصلحة المجتمع وخدمته ، يكون مستفيداً . كما أن الإنصاف الجنسي كذلك لا يتطلب أن نكافئ كلاً من الخاسر والفائز ، حتى لو كان ذلك يعني عدم مكافأة المرأة .

إن الاتجاه السياسي للنسويات الليبراليات ينطوي على فهم وإدراك للطبيعة الإنسانية التي تحمل فرديتنا بوصفنا مخلوقات إنسانية ، والمتمثلة في قدرتنا على التفكير العقلاني . والقول بأن العقل هو ما يميزنا عن المخلوقات الأخرى هو قول غامض نسبيّاً ، ولذلك حاولت النسويات الليبراليات تعريف العقل بطرق شتى ، مركّزات إما على مظاهره الأخلاقية تارة ، وإما على القدرة على إدراك التدبيرية تارة أخرى . ولذلك عندما يعرف العقل بأنه القدرة على إدراك الأسس العقلانية

للأخلاق يتمحور تركيز الطرح على قيمة الاستقلال الفردي . على النقيض من ذلك ، عندما يُعرَّف العقل بأنه القدرة على حساب أفضل الوسائل للوصول للغايات المنشودة ، فإن الطرح حينها يتمركز حول قيمة تحقيق الذات .

وأيّاً كان تعريف النسويات الليبراليات للقيمة بمفهومها الأخلاقي أو التدبيري ، يظل الاتفاق على أن المجتمع العادل يسمح لأفراده بممارسة ذاتيتهم وتحقيق أهدافهم في الوقت نفسه . لذلك تؤكد الليبراليات أن الحقوق لابد أن تُعطى الأولوية في ممارسة الصالح والمفيد . وبعبارة أخرى ، إن نظامنا الكامل من الحقوق الفردية مبرر ومقبول ، لأن هذه الحقوق تُشكل الإطار الذي من خلاله يمكننا جميعاً أن نختار مصالحنا المستقلة دون المساس بمصالح الآخرين . مثل هذه الأولوية تتضمن الحرية الدينية على سبيل المثال . وتركيز الليبراليات على الحرية الدينية لا يرتبط بالديانات نفسها ، بقدر ارتباطه بحرية الإنسان في ممارسة الدين ؛ أي دين . ما ينطبق على الدين من هذا المنظور ، ينطبق أيضاً على المفاهيم الحياتية الأخرى .

ويقوم الاتجاه المعاصر للنسوية الليبرالية على أساس أن الهدف الأهم لتحقيق التحرر النسائي هو تحقيق المساواة الجنسية ، ويطلق عليها في بعض الأحيان ، العدالة الجنسية (من حيث الذكورة والأنثوية) . ما ترغب بفعله النسويات الليبراليات هو تحرير النساء من الأدوار الجنسية الجائرة ، ويقصد بذلك مجموعة الأدوار التي تستخدم مسوغاً لإعطاء المرأة دوراً ومكانة أقل ، أو حرمانهن أي دور أو مكانة على الإطلاق في الأكاديميا ، والحياة العامة ، وسوق العمل .

تَلفت النسويات الليبراليات النظر إلى أن المجتمع البطريكي يقوم على الاعتقاد بأن الدور الملائم للنساء هو ممارسة مجموعة من المهن المحدودة والمحددة ، مثل : التعليم ، والتمريض ، والأعمال الإدارية ، وبأنهن غير قادرات على القيام بمهمات قيادية أو بوظائف دينية واستثمارية . ويرى المجتمع الذكوري أن الوظائف البسيطة تلائم النساء ؛ وذلك لأنها تتطلب خصائص ذات ارتباط بالشخصية الأنثوية ـ الذات الطموحة . في الوقت نفسه ، يرى المجتمع الذكوري أن المهن المناسبة للرجل هي تلك المهن المرتبطة بالشخصية الذكورية ـ الواثقة والمتمكنة .

ترى النسويات الليبراليات أن هذه النوعية من التوصيف الجنسي ، تتمثل بها أبشع معاني التفرقة وعدم المساواة بين الجنسين ، ولذلك لابد أن تُعالج ، ولابد حينها للرجال من إدراك الهدف من التحرر تماماً كالنساء .

تتابع النسويات الليبراليات نقاشهن على أساس أن الدمج بين الجنس sex والجنسي gender يفترض فقدان النساء للمتطلبات الضرورية لبعض المهن التي يعتقد أنها مرتبطة تماماً بالرجل ، والعكس صحيح . تجدر الإشارة إلى أن التقسيم الجنسي من حيث الجنس sex يقصد به اختلاف الجينات XX للأنثى وXY للذكر ، والاختلاف التشريحي ، في حين أن مصطلح gender يقصد به السمات الشخصية والصورة النمطية للسلوك المتفقة مع التشكيل الثقافي لمفهوم الأنوثة والذكورة . وعليه فإن كل النساء يتوقع منهن مسبقاً عدم ملاءمتهن لبعض المهن . فالمجتمع الأمريكي مثلاً ، في السابق ، لم يكن مخطئا إذ أوجد لوائح تمنع النساء من ممارسة مهن «ذكورية» ؛ كتلك المرتبطة بالتنقيب ، والخدمة على البارات ، والعمل في دوريات ليلية ، أو في وقت إضافي . والتفرقة الجنسية في الواقع مازالت قائمة ، فعلى سبيل المثال إذا رُشِّح رجل وامرأة لمنصب واحد (أعتقد لابد أن تُستثنى مارجريت تاتشر هنا) فإن معظم الناخبين يمنحون أصواتهم تلقائياً إلى الرجل ؛ اعتقاداً منهم بأن النساء عاطفيات ، وعصبيات ، ومتقلبات ، وشديدات الحساسية . الواقع نفسه خلف قرار أصحاب العمل إعطاء الأفضلية لتوظيف الرجل في بعض المواقع ، وحرمان المرأة منها ولو توافر لديها المؤهلات نفسها .

وعلى الرغم من أن هناك حالات يُدَّعى فيها بأن الرجل لايتمتع بحظ أوفر من المرأة ، إذ إن الرجال أيضاً في الواقع ضحايا تفرقة جنسية ، حتى عندما يكون القانون دائماً رحيماً بهم ، فإن بعض محركات الضبط الاجتماعي ليست كذلك ، ولذا نسمع شكاوي عن أسر ترفض الاستعانة برجل ليعمل جليساً للأطفال ، وكذلك عن مدارس التمريض التي لاتجد الرجل «المؤهل» لشغل المناصب الإدارية لديها . وعلى الرغم من أن الليبراليات على استعداد للتعاطف مع الرجال الذين يجدون صعوبة في مهنة العمل مع الأطفال ، بسبب التفرقة على أرض الواقع ، إلا

أنهن يلاحظن أيضاً أن ما يعانيه الرجل لايمت من بعيد أو قريب لتجربة المرأة . ولكن ، بشكل عام ، تظل تركيبة المجتمع تفضل الرجال على النساء في التنافس في سوق العمل التي من خلالها يكافئ المجتمع بـ : القوة والمكانة والمادة .

ويظهر في الكتابات الحديثة للنسويات الليبراليات اتجاه جديد ، وهو الاتجاه نحو المفاهيم التي ترفض النزعة إلى تقدير الشخص بناءً على جنسه . المفهوم المقصود هنا هو مفهوم الشخص المحايد (متضمنا الأعضاء الذكورية والأنثوية) . لو فكرنا في هذا المفهوم ، فالطريقة الأساسية الوحيدة التي يمكن لنا من خلالها أن نضمن أنه لن يكون هناك شخص يقع عليه الضرر بناءً على جنسه أو جنسها هو أن نحمل كلاً من السمات والسلوكيات الذكورية والأنثوية داخلنا . عندما يكون الكل كذلك ، كما تقول الليبراليات ، لن يكون هناك دافع للتفرقة ضد أي شخص كان بسبب جنسه . هذا بالتأكيد لا يتطلب عملية خلط لكل الكرموزومات والهرمونات ، من أجل خلق إنسان مخنث (ليس بذكر ولا أنثى) إلا إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لوضع نهاية للتفرقة القائمة على الجنس ، من حيث الاختلاف في الجينات ، أو من حيث الذكورة والأنوثة .

لقد ساعد نقاش الاختلافات الجنسية والأدوار الجنسية والتخنيث النسويات الليبراليات على تركيز الاهتمام بمفاهيم الحرية والمساواة والعدالة للجميع . بذلك لأن بعض المفاهيم كالدورالجنسي والسمات الجنسية تؤدي إلى أنماط سلوكية تعزز تنشئة اجتماعية تدفع بدورها كلا الجنسين إلى ميادين الاهتمام والمهن ؛ فالولد ينشأ ليكون ذكورياً والبنت لتكون أنثوية . ويتوجه السيكولوجيون ، والأنثربولوجيون والسوسيولوجيون إلى تعريف الذكورة والأنوثة من خلال الصور النمطية السائدة والمتأثرة بالعرْق ، والطبقة والعوامل الإثنية . لذلك فمن جملة ما يجب أن يتميز به الرجل حتى يكون ذكورياً في المجتمعات العربية : العقلانية والطموح والاستقلالية ، وما يجب أن تتميز به الأنثى حتى تكون أنثوية : العاطفة ، والأمومة والاتكالية . بالتأكيد هذا لاينفي وجود بعض الشرائح في المجتمع المخالفة لهذه القاعدة ، فبعض الذكور قد يعكسون سمات أنثوية ، وبعض الإناث قد يعكسن سمات ذكورية ،

ولكن هؤلاء الأفراد يشكلون الاستثناء أو الخروج عن المألوف . وتعاقب المرأة التي تظهر سمات ذكورية ، كما تراها الجماعة التي تنتمي لها ، تماماً كالرجل الذي يظهر سمات أنثوية . وستُعدّ تلك المرأة دون المرأة الحقيقية ، وذاك الرجل دون الرجل الحقيقي . ومن أجل تحرير النساء والرجال من القوالب النمطية المشكلة للرجولة والأنوثة ترى النسويات الليبراليات ضرورة تنمية جنس محايد (مخنث) يجسد الأفضل من السمات الذكورية والأفضل من السمات الأنثوية . وهذا بالطبع يتطلب تدخل العلم أو الطب مما يعني استحالة تطبيق هذا الحل ، كما أنه سيواجه بكثير من الاعتراضات ، لكونه يخالف الطبيعة البشرية والدين .

وتقوم النسويات الليبراليات في السنوات الأخيرة بإعادة تقويم الكثير من مواقفهن النقدية والفكرية ، وبالتحديد بأن يسلّمن بميلهن لقبول قيم الذكورة ، بوصفها قيماً إنسانية . يضاف إلى ذلك النقد الموجه إليهن من نسويات غير ليبراليات حول محاور عديدة ، لاسيما فيما يتعلق بميلهن لتضخيم أهمية الحرية الفردية على حساب الصالح العام ، وعلى ميلهن نحو إنسانية حيادية الجنس gender\neutral humanism على حساب نسوية محددة الجنس gender\specific feminism .

2 - الاتجاه النسوي الماركسي

يرى الاتجاه النسوي الماركسي marxist feminism أنه من المستحيل لأي كان ـ لاسيما النساء ـ أن يحصلوا على فرص متعادلة حقيقية في مجتمع طبقي ، حيث توفر الموارد من قبل الكم المستضعف ، ويحصد نتاجها أو تنتهي إلى يد القلة القوية . ولذلك يرى هذا الاتجاه أن اضطهاد المرأة ممثل ومتأصل في قانون الملكية الفردية ، تلك المؤسسة التي تمحو وتطمس أي نوع من المساواة حققها المجتمع الإنساني . كذلك يرى هذا الاتجاه ، أن ملكية مصادر الإنتاج والثروة بواسطة أفراد قليلين (نسبيّاً) من الرجال تشكل بالتأكيد نظاماً طبقيّاً يكون من نتائجه بروز الرأسمالية والإمبريالية . وإذا قدر لكل النساء ـ وليس للقلة المستفيدة أو المستثناة فقط ـ أن

يتحررن يوماً ما فإن النظام الرأسمالي سينتهي ليحل محله النظام الشيوعي . وذلك لأنه في ظل الشيوعية لن يكون أحد مسئولاً عن أحد ، أو معتمداً اقتصادياً على الآخر ، فالنساء سيكن اقتصادياً مستقلات عن الرجال ، وبناءً على ذلك سيكُنَّ متساويات معهم .

وعلى الرغم من الارتباط الفكري بين النسويات الاشتراكيات والنسويات الماركسيات ، إلا أن هناك ـ على الأقل ـ اختلافاً رئيسيّاً يفصل بين هذين الاتجاهين . وهذا ما تشير إليه تونغ (Tong 1992) حين كتبت : بينما النسويات الاشتراكيات يؤمنَّ بأن التقسيم الجنسي والنظام الطبقي يلعبان دوراً أساسيّاً متساوياً في محاولة تفسير أي اضطهاد يقع على المرأة ، تؤمن النسويات الماركسيات أن النظام الطبقي في نهاية المطاف يقدم تفسيراً أفضل لوظيفة المرأة ومكانتها . ففي ظل الرأسمالية ـ كما تقول النساء الماركسيات ـ لن يتعامل النساء البرجوازيات مع الخبرة نفسها من الاضطهاد ، كتلك التي تعيشها النساء البرولتاريّات . لذلك فإن تمييز النسويات الماركسيات هو دعوتهن لكل النساء ، سواء برجوازيات أو برولتاريّات لفهم اضطهاد المرأة وإدراكه ، لا بوصفه نتيجة لسلوكيات فردية متشابكة ، ولكن بوصفه نتاجاً للنظام السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي المرتبط بالرأسمالية .

وكما نُوقش مفهوم الطبيعة الإنسانية في تنظير النسويات الليبراليات ، تمت مناقشة هذا المفهوم من قبل النسويات الماركسيات . وبينما ترى النسويات الليبراليات أن مايميز الإنسان من الحيوانات الأخرى هو مجموعة القدرات ؛ كالقدرة على التفكير العقلاني ، واستخدام اللغة ومجموعة الممارسات ؛ كالدين ، والفن ، والعلم ، ومجموعة السلوكيات والتوجهات ؛ كالتنافس ، ووضع الذات قبل الآخر ، ترفض النسويات الماركسيات هذا الطرح لليبراليات ، ويؤكدن على أن ما يجعلنا بشراً هو أننا نقوم بإنتاج الوسائل والأدوات الكفيلة باستمرار بقائنا . إننا على ما نحن عليه بسبب ما نقوم به ، وبالتحديد بسبب ما نفعله لتوفير الاحتياجات الأساسية من النشاطات الإنتاجية ؛ كالصيد ، والزراعة ، والبناء . فخلافاً للمخلوقات الأخرى

كالنحل ، والنمل التي يحرك نشاطها الغريزة ، نقوم نحن البشر ببناء أنفسنا عمداً وعن قصد ، من خلال عملية التغيير والسيطرة على الطبيعة .

إن مقولة الماركسية «البشر يشكلون أنفسهم» لا تعني أن الرجال والنساء يجعلون من أنفسهم ما هم عليه ، ولكن يقصد بها أن الرجال والنساء من خلال تراكمات عملية الإنتاج يصنعون المجتمع الذي يقوم بدوره بتشكيلهم . وتعتبر القوى المادية المتمثلة في عملية الإنتاج وإعادة إنتاج الحياة الاجتماعية ـ عند الماركسيين ـ هي المحركات الأساسية للتاريخ . كما ناقش ماركس الكيفية التي يقوم بها نمط الإنتاج للحياة المادية في تشكيل العمليات العامة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية للحياة ـ يؤمن الماركسيون بأن وعي الإنسان لا يُحدد وجوده ، وإنما وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد وعيه . وتماماً كالماركسيين في خطوطهم ونظرتهم العامة ، تؤمن النسويات الماركسيات بأن الوجود الاجتماعي هو المحدد للوعي .

ولذلك فإن القول بأن «عمل المرأة لا ينتهي أبدا» يمثل للنسويات الماركسيات أكثر من مجرد قول مأثور ، فهو وصف لطبيعة عمل المرأة . فالمرأة تشكل تصوراً ومفهوماً لذاتها ، لم يكن ليتشكل لو لم يضعها دورها في الأسرة ومكان العمل في مرتبة أدنى من الرجل اجتماعياً واقتصادياً . ولذلك تؤمن النسويات الماركسيات بأنه حتى نفهم لماذا تُضطهد النساء بطرق لا يتعرض لها الرجال ، نحن بحاجة إلى تحليل الرابطة التي تجمع بين مكانة المرأة في سوق العمل ونظرة المرأة لنفسها .

إن النقطة الأساسية لمكانة المرأة عند النسويات الماركسيات هو وضعها في سوق العمل ، ولذلك يقوم تنظيرهن على الإيمان بأن عمل المرأة هو المحدد لفكرها ، وتالياً لطبيعتها .

إن النظرية الماركسية في الاقتصاد ، تعد الرأسمالية نظاماً للعلاقات المتبادلة ، يحجب حقيقة كونه نظاماً لعلاقات القوى . لذلك ترى النسويات الماركسيات أن حقيقة دفاع المفكرين الرأسماليين عن بعض علاقات شبه التعاقد ؛ مثل تأجير الرحم surrogate mother نموذجا لممارسة حرية الاختيار ، لا يعتبر محض مصادفة . فما

يحجبه هؤلاء المفكرون ـ كما تؤكد النسويات الماركسيات ـ هو صراع القوى المحركة الذي يفسر بشكل أوضح حقيقة ما وراء تلك الاتفاقيات . فعندما تختار المرأة أن تبيع خدماتها الجنسية ، أو قدرتها الإنجابية ، فإنما هي تفعل ذلك فقط لأنها لا تملك شيئاً آخر ذا قيمة لبيعه في سوق العمل ، أي أن فرص إجبار المرأة عملياً على القيام بذلك هي أكبر من فرص الاختيار .

النسويات الماركسيات مثل كل النسويات حريصات على توحيد صفوف النساء ، ولذلك فإن مفاهيم النظرية الماركسية كالطبقية والوعي الطبقي والوعي الزائف ، جميعها تلعب دوراً كبيراً في تنظيرهن . ويدور الكثير من النقاش والتساؤل داخل تجمعات النسويات الماركسيات ، حول ما إذا كان النساء يشكلن طبقة؟ فمن ناحية بعض النساء هن زوجات ، أو بنات ، أو صديقات لرجال برجوازيين ، على حين أن البعض الآخر زوجات ، أو بنات ، أو صديقات لرجال بروليتاريين . بذلك يتضح أن النساء في المفهوم الدقيق للطبقية ، كما تراه الماركسية لا يشكلن طبقة منفصلة . من ناحية أخرى ، فإن خبرة الكثير من النساء في الأعمال المنزلية تحمل ما يكفي من التشابه لإثارة كفاح موحد من أجل الحصول على أجر مقابل العمل المنزلي . ومن أجل الاعتراف بالعمل المنزلي بوصفه عملاً حقيقياً ، فإن كثيراً من النساء اكتسبن الوعي بأنفسهن بوصفهن طبقة عاملة ، ولكن ذلك الوعي يطلق عليه الوعي الزائف ؛ لأنه من غير الملائم النظر إلى الأمومة أو الزوجية ، على أنها واجبات ، وذلك لأن هذه المهام تقدم من قبل المرأة بدافع الحب .

من المفاهيم الأساسية في النظرية الماركسية والتنظير النسوي الماركسي ، التي يمكن إضافتها إلى الطبقية والوعي الطبقي مفهوم الاغتراب . ففي المجتمع الرأسمالي ، كما ترى الماركسية ، تتصف العلاقات الإنسانية بالاغتراب . إن الفرد لا يشعر بنفسه أو نفسها إلا عند انفصاله عن الآخرين . وترى آن فورمان (Ann Foreman 1977)[2] في هذا المجال ، أن الوضع بالنسبة للمرأة هو أسوأ مما هو عليه بالنسبة للرجل ؛ فالرجل يوجد في العمل الاجتماعي للعمل والصناعة ، كما يوجد في الأسرة ، ولذلك فهو قادر على التعبير عن نفسه في هذه المجالات المختلفة . أما المرأة فإن

مكانها هو داخل المنزل . إن تشيؤ الرجل في الصناعة وسوق العمل من خلال مصادرة نتاج عمله ، يشكل أحد أشكال الاغتراب . ولكن تأثير الاغتراب على حياة المرأة ووعيها ، يأخذ أشكالاً أكثر اضطهاداً . ويبحث الرجل عن متنفس لاغترابه من خلال علاقته بالمرأة ، ولكن لا يوجد ذلك المتنفَّس للمرأة . إن هذه العلاقة «الحميمة» هي نفسها تشكل البناء الأساسي لاضطهادها .

ولذلك يشكل اغتراب المرأة أساس المعاناة بالنسبة إليها ، لأنها ترى نفسها مجدداً لإشباع احتياجات الآخرين ، وترى غياب الآخرين غياباً لإحساسها بنفسها . استنادا إلى ذلك ، ترى النسويات الماركسيات أن المهمة الأولى لهن هي خلق عالم يمكن للمرأة أن ترى نفسها فيه شخصاً متكاملاً غير متجزئ .

وخلافاً لحياة الإنسان في ظل النظام الرأسمالي ، ترى النسويات الماركسيات أن حياة الإنسان في النظام الشيوعي حرة ، ليس في ما يقوم به فقط ، بل في ما يريده أيضاً . وذلك لأنه يملك القوة لبناء النظام الذي يقوم بتشكيله .

يمكن للقارئ أن يرى ، بين سطور الماركسية ، وعداً بإعادة بناء الطبيعة الإنسانية بالشكل الذي يمنع كل التقسيمات الهدامة التي استعبدت البعض ، وجعلت من البعض الآخر سادة . الماركسية أيضاً تقدم الوعود لجعل الجميع أحراراً ، وهو وعد ترغب النساء في رؤية أحد ما يحافظ عليه . وتؤمن الماركسية بأن الإنسان هو من يشكل المجتمع الذي يقوم بتشكيله ، ومن ثم تؤمن بقدرة النساء والرجال معاً على تشكيل البناء الاجتماعي ، والدور الاجتماعي الذي سيسمح لكلا الجنسين بإدراك قدراتهم الإنسانية بشكل كامل .

إن الكثير من القضايا والأسئلة التي تقوم النسوية بمختلف اتجاهاتها وتياراتها بمناقشتها وتحليلها ، لا تظهر لتشكل الأهمية نفسها للتحليل النسوي الماركسي ، حتى في الكتابات الحديثة منها . ومثال ذلك ، تلك الأسئلة المرتبطة بالإنجاب ، والأمور ذات الأبعاد الجنسية (كموانع الحمل ، والتعقيم ، والإجهاض ، والصور الإباحية ، والتحرش الجنسي ، والاغتصاب والعنف ضد النساء) . فقد اتجهت النسويات

الماركسيات للتركيز على القضايا المرتبطة بعمل المرأة . ومن هذا المنطلق ساعدت الماركسيات على الفهم والإدراك لكثير من القضايا ذات الارتباط ، مثل : الكيفية التي ترتبط بها الأسرة مع النظام الرأسمالي ، والكيفية التي تم بها تهميش عمل المرأة المنزلي ، بوصفه عملاً غير حقيقي ، وأخيراً الكيفية التي قدمت بها الوظائف الأكثر ملاً والأقل أجراً للنساء بشكل عام . وبذلك يظل العمل للنسويات الماركسيات محور التنظير ، حتى وإن لم يقدم تفسيراً كاملاً لاضطهاد المرأة ، فإن تحليلهن لطبيعة هذا العمل ووظيفته في النظام الاجتماعي مقنع حتى ولو بشكل جزئي .

في الحياة الاجتماعية التي سبقت ظهور الرأسمالية ، شكلت الأسرة ، أو المنزل ، مركز الإنتاج . وعمل الوالدان ، والأبناء والأقارب جميعهم بعضهم مع بعض لإنتاج أنفسهم جيلاً بعد جيل . وقامت النساء بعمل الطبخ ، وحفظ الطعام ، والزراعة ، والإنجاب ، وتربية الأطفال . وقد شكل عملهن بالإضافة إلى عمل الرجل ، الأساس للنشاط الاقتصادي للأسرة الممتدة . ولكن بعد ظهور التصنيع وتحويل الإنتاج من الإطار المنزلي إلى أماكن العمل العامة ، فقدت النساء أدوارهن في الحياة العملية ، واعتبرن غير منتجات ، في مقابل ما قدمه الرجل من إنتاج مدفوع الأجر . إن عدم اعتبار «إنتاج» المرأة للبشر إنتاجاً ، واعتبار «إنتاج» الرجل للسلع أو المواد إنتاجاً ، إنما هو فشل في استيعاب مفهوم مصطلح الإنتاج كما تناقش النظرية الماركسية .

لذلك ، كان ما يثير حفيظة كثير من النسويات الماركسيات ، هو الإطار الذي يصور من خلاله النظام الرأسمالي طبيعة عمل المرأة ووظيفتها ، ومن ثَم تهميشه لهذا العمل . النساء وباستمرار ينظر إليهن على أنهن مستهلكات ، وكأنما دور الرجل هو الحصول على الأجر ، ودور المرأة هو تبديد هذا الأجر . ولكن النساء ـ كما تراهن النسويات الماركسيات ـ منتجات بالدرجة الأولى ومستهلكات بالدرجة الثانية .

إن العمل المنزلي ـ كما تقول م .بنسون (M. Benston 1969)[3] ـ يظل باستمرار مسؤولية النساء . وعندما تخرج النساء للعمل خارج المنزل ، يجب عليهن بشكل ما أن يقمن بالتوفيق بين متطلبات العمل الخارجي والعمل المنزلي معاً . إن النساء ـ لا سيما المتزوجات منهن والأمهات واللاتي يعملن خارج المنزل ببساطة ـ يقمن بوظيفتهن ، كما أن مشاركتهن القوى العاملة مشروطة دائماً باستمرار قدرتهن على القيام بالمسؤولية كاملة داخل المنزل . هذا الوضع يظهر بشكل خاص في المجتمعات التي لم يوسع خروج المرأة للعمل فيها من حدود حريتها (مثل مجتمعات الشرق الأوسط) ويظل لذلك خروج المرأة للعمل غير كاف لإعطائها حريتها مادام عملها داخل المنزل موضوعاً ذا خصوصية ومطلوباً منها . لهذا تظل النساء ببساطة يقمن بجهد وظيفي مضاعف .

يشكل موضوع المرأة نقطة اختلاف أساسية داخل أروقة النسوية الماركسية ؛ حيث تنقسم النسويات الماركسيات بين مؤيد ومعارض للأجر المادي للعمل المنزلي . وتقوم وجهه نظر المؤيدات على أن الوسيلة الوحيدة لإنهاء الظلم ، المتمثل بمسؤولية المرأة عن العمل داخل المنزل بدون أجر إضافة إلى عملها خارجه ، هو أن تطالب النساء بأجر مقابل عملهن المنزلي . أما المعارضات لهذا التوجه فيقوم نقاشهن على صعوبة القيام بذلك . فإذا قامت الدولة بدفع أجور النساء المتزوجات فإن ذلك يعني أن قيمة ما ستدفعه ستفوق ما تقدمه الدولة للنساء العاملات خارج المنزل ثلاثة أضعاف أو أربعة ، وهذا يعني بالتأكيد تثبيت نسبة ضريبية أعلى . هذا إلى جانب أن هذا التوجه سيجعل النظام الرأسمالي أكثر رغبة في جعل كل شيء سلعة للبيع والتقدير المادي ؛ بما في ذلك علاقة الزوجة بزوجها والأم بطفلها .

يضاف إلى ذلك أنه عندما يدفع الأجر للمرأة مقابل عملها داخل المنزل لن تخرج المرأة للعمل خارجه ، ونتيجة لذلك ترى المؤيدات أن هذا سيعظم من التقسيم الجنسي في العمل .

كما التزمت النسويات الماركسيات بدرجات تتفاوت نسبتها في طرحهن وتحليلهن لموضوع اضطهاد المرأة ، وهن مازلن يحرضن النساء على دخول سوق العمل . كذلك مازلن ينجذبن إلى البرامج التي تهدف إلى تدمير الأسرة بوصفها وحدة اقتصادية تدعم بناء النظام الرأسمالي . وهن ، أكثر من أي تيار آخر من التيارات النسوية ، جعلن من رفاهية المرأة الاقتصادية واستقلالها اهتمامهن الأول ، إلى جانب تركيزهن على الربط بين خبرة النساء بوصفهن عاملات ووضعهن داخل الأسرة . ولذلك فإن النقد الموجه لهن من النسويات غير الماركسيات يرتبط بدرجة عالية بطرحهن لفكرة الأجر للعمل المنزلي . يضاف إلى ذلك النقد الموجه لهن والقائل بأن التركيز على طبيعة عمل المرأة ووظيفتها لن يسهم وحده في القضاء على اضطهادها .

3 – الاتجاه النسوي الراديكالي

ترى النسويات الراديكاليات radical feminism أن النسويات الليبراليات والماركسيات لم يصلن في تنظيرهن إلى مافيه الكفاية . فالنظام الربوي الذي يقمع المرأة هو بالنسبة لهن نظام يتسم بالقوة والسلطة والطبقية والمنافسة ؛ نظام لايمكن تعديله ولكن يمكن محوه تماماً من جذوره وفروعه . وتقول الراديكاليات إن أبوية النظام القانوني أو المؤسسات السياسية ليست هي التي يجب قلبها والقضاء عليها فقط ، ولكن أيضاً أبوية المؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وخاصة الأسرة التي يجب أن يقضى عليها كذلك .

ويعتمد بعض النسويات الراديكاليات في تنظيرهن على المقومات الجسدية التي استخدمت من قبل المناهضين والمعارضين لمساواة المرأة ، باعتبار أن جسدها هو نكبتها ومستقبلها الثابت غير المتغير . على حين يركز البعض الآخر على الطرق التي استخدم بواسطتها مفهوم الأنثى/ الذكر female/male والمرأة/ الرجل woman/man بحيث استغلت من أجل إذلال المرأة وإخضاعها للرجل عبر التاريخ .

وترى (Tong 1992) [4] أن الكثير من أفكار النسويات الراديكاليات مازالت تتطور بعدة اتجاهات في وقت واحد . ولذلك فإن أي نقاش لهذه الأفكار لابد أن ينتهي بالتركيز على البعض منها فقط . ولكن على الرغم من ذلك تعد أفكار الراديكاليات أكثر الأفكار النسوية عمقاً ؛ لأنهن يذهبن إلى أن اضطهاد المرأة هو أكثر أشكال الاضطهاد ظهوراً وأصالة . وهذا الادعاء يمكن تفسيره :

- بأن النساء عبر التاريخ هن أول جماعة تتعرض للاضطهاد .
- أن اضطهاد النساء أكثر أشكال الاضطهاد انتشاراً في كل المجتمعات
- أن اضطهاد النساء أكثر صور الاضطهاد عمقاً وقسوة ، ولايمكن إزالته بأي تغيرات اجتماعية «طفيفة» كالقضاء على النظام الطبقي مثلاً .
- أن اضطهاد النساء يجلب لضحاياه أسوء صور المعاناة كمّاً ونوعاً ، على الرغم من أن هذه المعاناة يمكن أن توجد دون أن تُلاحظ بسبب التحيز الجنسي لكل من المضطهد والضحية .
- أن اضطهاد النساء يقدم نموذجاً لفهم أشكال الاضطهاد الأخرى .

وأيّاً كان تركيز الراديكاليات وتناولهن لما سبق من عناصر ، فالكتابة الراديكالية ستتناول واحداً أو أكثر من الموضوعات الخاصة بالإنجاب والأمومة والتقسيم الجنسي من حيث الذكورة والأنوثة وجنسية المرأة . ولذلك فإن محاولة تقديم أفكار هذا التيار لابد أن تتناول هذه الجوانب الأساسية ، وذلك لأن النسويات الراديكاليات يسلطن اهتمامهن على الطرق التي من خلالها حاول الرجال السيطرة على أجساد النساء . وهذه السيطرة قد تكون بواسطة تقييد موانع الحمل ووسائل التعقيم وقوانين الإجهاض ، أو بواسطة العنف الذي تتعرض له النساء ؛ مثل الصور الإباحية والتحرش الجنسي والاغتصاب والاعتداء بالضرب ، وهو الذي يشكل لعبة قوى عنيفة إلى الدرجة التي تكون من نتيجتها سلب المرأة السيطرة على جسدها ، ومن ثم على إنسانيتها . وكذلك تتناول الراديكاليات الطرق التي من خلالها قام الرجل بتشكيل جنسية المرأة من أجل خدمة احتياجاته ورغباته لا احتياجات المرأة ورغباتها .

وتدعى فايرستون (1970 Firestone) أن البطريكية ذلك النظام المخضع للمرأة يستمد جذوره من عدم المساواة البيولوجية بين الجنسين . ولذلك فهي ، عكس الماركسية والماركسيات ، ترى أن التمييز الطبقي الحقيقي هو ذلك الموجود بين الرجال والنساء ، وأن علاقات الإنجاب لا الإنتاج هي المحرك الرئيسي للتاريخ . يضاف إلى ذلك أنه إذا ما أردنا أن نفهم علة خضوع النساء للرجال فنحن بحاجة إلى تفسير بيولوجي لاتفسير اقتصادي ، وأن عدم المساواة بين الجنسين لاتعود إلى الفروق البيولوجية الواضحة ، بشكل بسيط أو مسطح ، وإنما إلى الاختلاف بين دور الرجل والمرأة الإنجابي والذي أدى إلى أول تقسيم للعمل انطلقت منه الطبقية .

لذلك ترى (1970 Firestone) [5] أن اضطهاد النساء يرجع إلى الاختلافات البيولوجية ، ولذلك فإن تحرر المرأة يتطلب ثورة بيولوجية في مقابل الثورة الاقتصادية التي قدمتها الماركسية لإنهاء اضطهاد العمال . ويمكن للتكنولوجيا أن تجعل هذه الثورة ممكنة . وذلك لأن التغيرات التكنولوجية والترتيبات القانونية ؛ مثل الأمومة بالعقد ، جعلت من الممكن للمرأة التي أنجبت أن تكون غير المرأة التي حملت ، والمرأة التي حملت غير المرأة التي ربت . يضاف إلى ذلك أنه متى أصبح من الممكن أن يتم الجمع بين البويضة والحيوان المنوي الحمل بالجنين خارج الرحم سيكون دور المرأة في العملية الإنجابية ليس أكبر من ذلك الدور الذي يقوم به الرجل . فالنساء سيتبرعن بالبويضات إلى البنوك الخاصة بذلك كما سيتبرع الرجال بالحيوانات المنوية من ثم سيتخلص كل من الجنسين من أدوارهما المختلفة في عملية الإنجاب ، وهذا سيؤدي إلى تقليص كل الأدوار الجنسية .

إن ارتباط النساء بعملية الإنجاب جعل من السهل على المجتمعات حصر النساء وربطهن بالإطار المنزلي الخاص ، وفي الوقت نفسه إرسال الرجال إلى سوق العمل أو الإطار العام . ولذلك عندما تتوقف النساء عن الإنجاب واستهلاك ما ينتجه النظام الرأسمالي يختفي السبب المنطقي العقلاني للاحتفاظ بهن في المنزل ، وبذلك تنتهي الأسرة بوصفها وحدة اقتصادية .

لقد خضع مفهوم الأمومة البيولوجية للكثير من النقد ، لا من النسويات بشكل عام وبكل تياراتها فقط ولكن أيضاً من النسويات الراديكاليات أنفسهن . ومن هذه الانتقادات ما قدمته أوكلي (Oakley 1974) [6] التي ترى أن الأمومة ليست إلا مجرد وهم وخرافة على جميع مستوياتها ، كالقول بأن كل النساء بحاجة إلى الإحساس بالأمومة ، وكل الأمهات بحاجة إلى أطفالهن ، وجميع الأطفال بحاجة إلى أمهاتهن .

في ما يتعلق بالتأكيد الأول القائل بأن كل النساء بحاجة إلى أن يكن أمهات ، اكتسب هذا التأكيد مصداقيته ، كما تقول (Oakley 1974) ، من الطريقة التي تتم بها تنشئة البنت . فإذا لم يعط الوالدان ابنتهما الدمية ، وإذا لم تقم المدرسة أو الإعلام أو المجتمع بالتأكيد على عجائب الأمومة ، وإذا لم يقم علماء النفس والأطباء النفسيون بتحويل البنت (المسترجلة) التي لاتميل إلى الأمومة إلي البنت (الأنثى) التي ترغب بالأمومة ، فإن عدداً قليلاً من البنات سينضجن وهن في احتياج ورغبة إلى أن يكن أمهات من أجل أن يتولد لديهن الإحساس بقيمة الذات . وترى (Oakley 1974) أن المرأة لايعني امتلاكها بويضات أو رحماً رغبة في الأمومة ، ولكن المسألةكلها تنحصر في الكيفية التي تنشئ بها النساء اجتماعياً وثقافياً ليصبحن أمهات .

كذلك القول بأن كل الأمهات بحاجة إلى أطفالهن ـ هو القول القائم على الاعتقاد بأن المرأة ستصاب بالإحباط إذا لم تشبع لديها غريزة الأمومة ـ فإن (Oakley 1974) تناقش وتقول بأنه لايوجد شيء يسمى بغريزة الأمومة ، سواء كان ذلك يعني بأن كل النساء «الطبيعيات» لديهن الرغبة في إنجاب طفل ، أو تولد لديهن تلك الرغبة خلال الحمل والإنجاب أو بعد ذلك .

أما في ما يتعلق بذلك المستوى المرتبط بالاعتقاد بأن جميع الأطفال بحاجة إلى أمهاتهم فتعتقد (Oakley 1974) أن هذا المستوى يشكل أكثر الصور الخرافية المتعلقة بالأمومة البيولوجية ظلماً . وذلك لأن هذا المستوى ينطوي على ثلاثة افتراضات تربط المرأة بالأطفال بشكل غير ضروري ؛ الأول هو ذلك المعنى الذي

يدور حول القول بأن الأطفال بحاجة إلى أمهات بيولوجيات لا اجتماعيات . أما الثاني فيحمل المعنى القائل بأن الأطفال بحاجة إلى رعاية الأم المكثفة وليست رعاية الأب . والثالث الذي يقول بأن الأطفال بحاجة إلى تنشئة مُربٍّ واحد فقط ، ويفضل أن تكون الأم البيولوجية . ويتابع النقاش بالقول بأن كل هذه الافتراضات غير صحيحة . ففعالية الأم بالتبني لاتقل عن الأم الطبيعية ، وكذلك الأطفال ليسوا بحاجة إلى أمهاتهم أكثر من حاجتهم إلى آبائهم ؛ حيث إن الطفل بحاجة إلى من يبني معه علاقة حميمة ، ويمكنه أن يعتمد عليه ويكون معه عند الحاجة إليه ، ولا يهم هنا أن يكون الأب أو الأم . كذلك فإن علاقة الأمومة ذات الطرفين (أم/ طفل) ليست بالضرورة أفضل من علاقة الأمومة المتعددة الأطراف. كما تمارس مع أطفال الكيبوتس الإسرائيلية ، حيث تقوم نساء مجتمع الكيبوتس بتكوين علاقة الأمومة مع الأطفال بشكل جماعي وبمشاركة الأمهات المتواجدات في الكيبوتس ، ولم تخلق تلك العلاقة أية آثار سلبية فأطفال الكيبوتس لا يقلون ذكاءً أو تكيفاً وسعادة عن غيرهم من الأطفال .

إن خرافة الأم البيولوجية ـ كما تراها (1974 Oakley) ـ تم تشكيلها اجتماعياً وثقافياً لأهداف جائرة . ولذلك فإن خوف النساء من أن يتصفن بـ «عدم الطبيعية» أو الأنانية جعل حتى النساء غير الراغبات في الإنجاب أمهات ، وأصبحت الأمهات اللاتي قد يجدن راحة في مشاركة الآخرين لهن في تربية أطفالهن يجعلن من الأمومة وظيفة تؤدى على مدار الساعة واليوم . ولذلك أصبح الكثير من النساء غير سعيدات بالأمومة ، وجعل من الصعوبة بمكان الاعتراف بأي تحفظات جدية لأن في ذلك اعترافاً بالفشل بوصفهن أفرادا .

وترى النسويات الراديكاليات أن الرغبة في الإنجاب والتربية ماهي إلا نتيجة للرغبة في الحصول على الرابطة الموثوقة النسب والحاجة إلى استمرار الذات . فالطفل بالنسبة للرجل تخليد لاسمه ولملكيته ولطبقته ولهويّته العرقية . والطفل بالنسبة للمرأة تبرير لأهمية وجودها وضرورته . لذلك فلو تملك الأفراد طرقاً مختلفة لإشباع ذواتهم سيكتشفون عندهم عدم حاجتهم ليكونوا والدين بيولوجيين .

وتقدم النسويات الراديكاليات من خلال تنظيرهن عدة طرق من شأنها تحرير المرأة من قفص الأنثوية . وتتفاوت هذه الطرق مابين العمل باتجاه ثقافة خنثوية محايدة ؛ تقل بها الاختلافات بين الإناث والذكور لتحل محل الثقافة الذكورية والثقافة الأنثوية . وبشكل عام يتميز التنظير النسوي الراديكالي عن التيارات النسوية الأخرى بالتفاصيل التي يقدمها حول الطرق التي من خلالها يقوم الرجال وليس المجتمع أو الظروف بفرض أدوار وسلوكيات جنسية جائرة على النساء .

وتعتبر ميليت (Millett 1970) [7] من أوائل النسويات الراديكاليات اللواتي أكدن ارتباط البطريكية باضطهاد النساء . ففي كتابها Sexual Politics ترى (Millett 2970) أن العلاقة الجنسية وقبل أي شيء هي علاقة سياسية . إن علاقة الرجل بالمرأة ماهي إلا النموذج لكل علاقات القوة ، وإن سيطرة الرجل على العالمين الخاص والعام في المجتمع هي التي تشكل أسس البطريكية . ولذلك لابد من تقليص هذه السيطرة إذا ما أريد للنساء أن يتحررن .

إن مفهوم البطريكية كما ترى (Millett 1970) قام على إبراز الاختلافات البيولوجية بين الرجال والنساء وتعظيمها من أجل ضمان أن تكون الأدوار الذكورية والمسيطرة من نصيب الرجل ، والأدوار الأنثوية المستعبدة من نصيب المرأة . وحتى تضمن البطريكية هذه المكانة العليا تقوم بالسيطرة على المؤسسات الاجتماعية الثقافية الأساسية في المجتمع ؛ كالأسرة والمدرسة ، وتقوم هذه بدورها بالتأكيد على تبعية المرأة للرجل والإحساس بالضعف والدونية تجاه الرجل . ويظل أسلوب الترهيب سمة من سمات البطريكية ، إذ يجعل من المرأة العاقلة تلك التي تدرك وتفهم العلاقة أو ضرورة الربط بين الحياة والأنثوية .

وتشكل البطريكية لدى النسويات الراديكاليات النموذج لجميع أشكال الاضطهاد ، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة للتفضيل الجنسي الذي سبق جميع أشكال التمييز بما في ذلك التمييز الطبقي والعرقي . وترى الراديكاليات أن سيطرة الرجل على المرأة فتحت المجال لنماذج وصور متتابعة من السيطرة ؛ ولذلك إذا استطعنا أن

نبرر خضوع المرأة للرجل فإننا بذلك نستطيع أن نبرر تلك النماذج الأخرى من التحكم والخضوع . ولأن السيطرة هي سمة البطريكية وخطيئتها بكل صورها ومستوياتها فقد ركزت النسويات الراديكاليات على تحليل أصولها وجذورها .

فقديماً عاش الإنسان في سلام مع الطبيعة ، ورأى نفسه جزءاً من كل ؛ لابد من التكيف معه من أجل الاستمرار في الحياة . وتعتقد الراديكاليات بناءً على ماهو متوافر من دلائل وبراهين أن المجتمعات القديمة ربما كانت أمَّوية ، وذلك لأن الأم لعبت الدور الأساسي في حياة الجماعة بما قامت به من ارتباط ومشاركة متآلفة ومتناغمة مع الطبيعة . كانت الطبيعة صديقة ، وكانت المرأة بوصفها محافظة على الحياة ومسؤولة عن استمرارها (عن طريق الإنجاب) أيضاً صديقة . وبتزايد البشرية لم تعد الطبيعة قادرة على توفير احتياجاتها من الغذاء . وأصبح ماهو متوافر لصيده أو لجمعه قليلاً ، ولم تعد النظرة للطبيعية على أنها ذلك الصديق الكريم بل غدت خصماً لدوداً . وأصبح من الضروري أن تحفر الطبيعة ، وأن تحرث وأن تفجر لاستخراج ماتخفيه داخلها عن الإنسان . وعليه فقد أخذ الإنسان زمام الأمور بيديه ، وعكف على تطوير التقنيات التي تساعده على تحرير نفسه من نزوات الطبيعة وسيطرتها . وكلما ازدادت السيطرة البشرية على الطبيعة زاد بعد الإنسان عنها وانفصاله جسدياً ومعنوياً . وترى فرنش (French 1985) [8] أنه كلما زادت الهوة بين الإنسان والطبيعة بسبب سيطرة الإنسان عليها زاد اغتراب الإنسان عن الطبيعة . والاغتراب هنا يعني إحساساً قوياً بالاستقلالية لدرجة الخصومة ينتج عنها خوف ثم عداء . ولذلك ليس بغريب أن تؤدي هذه المشاعر السلبية إلى تعميق رغبة الرجل في السيطرة لا على الطبيعة فقط ولكن أيضاً على المرأة ، والتي بسبب قدرتها الإنجابية ارتبطت بالطبيعة . وتولدت البطريكية بوصفها نظاماً طبقياً يعطي قيمة للقوة على الآخرين بسبب رغبة الرجل في السيطرة على أطراف المشكلة المرأة والطبيعة . وأصبحت هذه القيمة تعني سلطة واضع القانون ، السيد والمسؤول الأول . ولذلك ترى الراديكاليات أن النموذج الأفضل للمجتمعات هو المجتمع الخنثوي والذي يقيم السمات التاريخية الأنثوية كالحب والعاطفة بنفس الشكل الذي تقيم به السمات الذكورية كالتسلط وحب التملك .

ويعد مفهوم جنسية المرأة female sexuality من المفاهيم الأساسية الحساسة في التنظير النسوي بصفة عامة . ولذلك ترى الراديكاليات أنه بنفس الدرجة التي شكلت بها الأطر الاجتماعية والثقافية كلاً من مفهومي الذكورة والأنوثة ، شكلت قدرة المرأة الإنجابية هويتها وسلوكها ، فأصبح من الصعب على المرأة تعرّف رغباتها واحتياجاتها الجنسية في ظل التوقعات الاجتماعية المشكلة . وتنبع أهمية هذا المفهوم من اعتقاد الراديكاليات بأن العنف والحاجة إلى السيطرة شكل نموذج جنسية الرجل male sexuality والذي عُدّ سلوكاً مقبولاً و«طبيعيّاً» . وبذلك أيضاً أصبح العنف الجنسي ضد النساء طبيعيّاً و«قانونيّاً» في العلاقات الجنسية من خلال افتراض أن الرجل بطبيعته عدواني ومسيطر عندما يرتبط الموقف بالجنس ، بينما طبيعة المرأة ، في الموقف نفسه ، سلبية ومستسلمة . ولأن سيطرة الرجل وخضوع المرأة هي القاعدة في المواقف الأساسية كالجنس ، أصبحت أيضاً القاعدة في المواقف الأخرى .

وعلى الرغم مما تحظى به النسويات الراديكاليات من تقدير من قبل المجتمع النسوي فإن للتيارات النسوية الأخرى مآخذها على تنظيرهن . ومن هذه الانتقادات تناولهن للاستعدادات البيولوجية للنساء بوصفها شيئاً محدداً وغير قابل للتغير (كما سبق واستعرض نقد Oakley 1970) ، وذلك لأن التكوين البيولوجي يتفاعل مع القوى البيئية التي يتعامل معها . من ثم فإن صغر جسد المرأة وضعفه إنما يرجعان إلى دونية مكانة المرأة في المجتمع ، والتي بسببها حظيت المرأة بنظام غذائي أفقر من ذلك الذي يحظى به الرجل . كما أن المرأة أصغر حجماً من الرجل لا بسبب طبيعة جسدها البيولوجية ، ولكن نتيجة الأطر الثقافية الاجتماعية التي عاشت بها المرأة تاريخيّاً . يضاف إلى ذلك أن التكوين البيولوجي هو واحد فقط من ذلك الكل المحدد لهوية المرأة .

ولم يقتصر النقد النسوي للراديكاليات على المفهوم البيولوجي بل اتسع ليشمل ماقدمن من آراء وتحليلات حول ارتباط النظام البطريكي باضطهاد المرأة . ويقوم هذا النقد على أن الراديكاليات لم يتجاوزن في تنظيرهن الحياة في القرن التاسع عشر عندما احتفظ الرجال بالنساء في أبراج بعيدة عن عالم السياسة

والاقتصاد . على الرغم من اعتراف هذا النقد بأن البطريكية أداة فعالة من أدوات التحليل لهؤلاء النساء اللاتي سيبدأن في إعادة بناء مفهومهن الشخصي والسياسي عن خبراتهن ، تظل البطريكية مفهوماً جامداً متبلداً لأي محاولات تحليلية أعمق وأشمل .

4 – الاتجاه النسوي السيكولوجي

على الرغم من انتقادات النسوية لآراء سيجموند فرويد ، ولاسيما لتلك الدائرة حول إحساس البنت بالدونية لافتقارها العضو التناسلي الذكوري ، والذي يعطي من ثم الفوقية للذكر ، اعتبرت كتاباته المرتبطة بجنسية الأنثى ، من قبل نسويات ـ التحليل النفسي ـ ، جديرة بالتركيز والتناول لما يمكن أن تحققه من تحرير للمرأة .

وفي تاريخ نسويات ـ التحليل النفسي pyschoanalytic feminism تطورت أربعة تيارات أساسية داخل هذا الاتجاه . وكل تيار ظهر حاول تطوير الأساسيات الفرويدية لاتجاهات نسوية . التيار الأول حاول تطهير الفرويدية من جميع المحددات البيولوجية . والتيار الثاني لم يعر اهتماماً إلى عقدة أوديب ، ووجه هذا الاهتمام إلى ماقبل الأوديبية ، وهي الفترة التي تضم علاقة الأم بوليدها . أما التيار الثالث فوجه اهتمامه إلى نقاط القوى في سلوكيات المرأة الأخلاقية أكثر من نقاط الضعف المتناولة من قبل الفرويدية . وحاول التيار الرابع إعادة تفسير العقدة الأوديبية بإعطائها معاني بعيدة عن البطريكية . جميع هذه التيارات لنسويات ـ التحليل النفسي تظهر أن التنظير الفرويدي قد يحمل مفاهيم محررة للمرأة في الوقت نفسه الذي يحمل فيه مفاهيم مستبعدة لها .

إن أكثر ما يغضب النسويات هو ما يدعيه فرويد عن طبيعة المرأة . ولذلك فإن السمة الأولى للمجموعة الأولى التي ظهرت من تحليلات النسويات أبرزت رفضهن آراء فرويد حول المحددات البيولوجية ، وأكدن في المقابل الدور الثقافي والواقعي في تشكيل هوية المرأة وسلوكها الأنثوي . تقول نسويات ـ التحليل النفسي بأن المقومات

البيولوجية للفرد أو الخبرة لاتؤدي منطقيّاً ـ وبالشكل الذي لايمكن تفاديه ـ إلى سمات سيكولوجية محددة أو إلى خبرات مستقبلية . ويذهب هذا التيار إلى أن هناك «ذاتاً مبدعة» لكل منا تتوسط المحددات البيولوجية ، وتخرج منها بأهداف وأمنيات للمستقبل . ولذا ، كما يتابع صاحبات هذا التيار ، فإن ما يشكل حياتنا ويحددها هو نظرتنا للمستقبل وليس جذورنا في الماضي . يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي تلعبه البيئة في النمو والنضوج لكل من الأنثى والذكر ؛ ولذلك فإن دونية المرأة لا تنبع من «الجسد الذكوري» وإنما من إدراك المرأة حقيقة وضعها الخاضع للرجل . وبذلك تنبع رغبة النساء في أن يكن رجالاً بسبب مكانة الرجل المسيطرة في المجتمع ، وليس بسبب عشقهن للعضو الذكوري كما يقول التحليل الفرويدي .

وترى نسويات ـ التحليل النفسي بأن علاقة الوليد بأمه أو الوليدة بأمها [9] غير تكافلية بشكل أساسي ، وذلك لأن الوليد أو الوليدة غير قادرة على التمييز بين الذات والأم . ويؤخذ في الاعتبار هنا أن الجسد المادي هو أول اتصال مادي أو جسدي يشعر به ويتعايش معه الوليد . وهذه الخبرة تشكل للوليد رمزاً لعالم لايمكن الاعتماد عليه أو التنبؤ به ، فالأم هي مصدر المتعة والألم بالنسبة للوليد الذي لن يتأكد أبدا من أن احتياجاته المادية والنفسية ستشبع ؛ وذلك لأن الأم كما تكون كثيرة العطاء في بعض الأحيان تكون قليلة العطاء في أحيان أخرى . ونتيجة لذلك يكبر الوليد ولديه شعور غامض يكبر معه تجاه شكل الأم (النساء) الذي يمثل له كلاً من العالم المادي/ الجسدي الذي يرفض أن يعيشه مرة أخرى تحت اعتماد كلي على قوته الجبارة . لذا يتجه الرجال للسيطرة على النساء والطبيعة وامتلاك القوى عليهما . كما أن خوف الوليدة من قوة الأم التي تحملها تدفع المرأة لتكون تحت سيطرة الرجال . وبذلك يكون الرجال بحاجة إلى السيطرة على النساء ، وتكون النساء بحاجة إلى سيطرة الرجال عليهن مما يؤدي إلى ترتيبات جنسية مشوهة تعمل بوصفها نموذجاً لعلاقات جنسية مدمرة .

ومما يدعو للفضول كما تقول نسويات ـ التحليل النفسي أن النساء يتقبلن ملكية الرجال الجنسية بوصفها حقا لهم في الوقت الذي لايقبلن بهذا الحق

لأنفسهن [10] . وذلك لأن المرأة تخاف من قوة الأم التي بداخلها مما يجعلها تبحث عن رجل بحاجة إليها ، وذلك هو الرجل الذي سيقوم بالسيطرة عليها . وكلما زادت حاجة الرجل للمرأة زادت رغبتها في البقاء معه . ولكن لأن الرجل لايمثل الأم للمرأة بالشكل الذي تمثله هي له ، فهي تفتقد إلى ذلك الجزء الذي يدفعه إلى ملكية الأم . ومن ثم لايهم عمق التعايش الذي تحققه المرأة مع الرجل فهو لن يتساوى مع مايمكن للمرأة أن تحققه مع الأم . ومن ثم عندما يترك الرجل المرأة لن تشعر بذلك الحزن الذي شعرت به عندما تركتها أمها .

إن مرحلة ماقبل الأوديبية تنتهي بعقدة أوديب ، إذ يتخلى الولد عن أول شيء أحبه ، ونتيجةً لتنازله عن رغباته لصالح الشعور الاجتماعي يصبح الولد مندمجاً تماماً مع الثقافة المحيطة ، وسوياً مع الأب ، يمارس السيطرة على المرأة والطبيعة التي تمثل بالنسبة له القوى غير العاقلة . وخلافاً للولد تنفصل البنت عن أول شيء أحبته ، ونتيجة لافتقارها للعضو الذكوري يكون اندماجها مع الثقافة ناقصاً ، وتأخذ ذلك المكان الهامشي بوصفها فرداً لايوجه الأوامر بل يتلقاها بسبب خوفها من القوة التي تحملها .

كذلك ترى نسويات ـ التحليل النفسي أن البطريكية أو سلطة الذكر تستمد جذورها من العقدة الأوديبية ولكن هذا لايعني رفض هذه المرحلة تماماً ، خاصة أنها تمثل مايتعايش معه الفرد عند اندماجه مع المجتمع . إن تقبل نسويات ـ التحليل النفسي لجانب من الأوديبية لايعني تقبلهن للتحليل الفرويدي الذي جعل من السلطة والاستقلالية والعالمية سمات ذكورية ، ومن العاطفة والاتكالية والخصوصية سمات أنثوية والتي ، كما ترى نسويات ـ التحليل النفسي ، ليست أساسية في الأوديبية . ولكن هذه السمات ماهي ببساطة إلا نتائج طبيعية لخبرة الطفل المعيشية مع كل من الرجل والمرأة . ولذلك فإن تعاون الأب والأم في عملية التربية ومشاركتهما المزودجة في سوق العمل ستغير من التكافؤ الجنسي (رجل/ مرأة) الأوديبي . وبذلك لن تكون السلطة والاستقلالية والعالمية ملكاً للرجل ، ولن يكون الحب والعاطفة والخصوصية ملكاً مقتصراً على المرأة .

كذلك ترفض نسويات ـ التحليل النفسي آراء فرويد القائلة بأن الرجال لديهم القدرة على الفهم الواضح للعدالة بوصفها مفهوماً أخلاقياً ، بينما تفتقر النساء لهذه القدرة ، ويقدمن في مقابل ذلك رأيهن القائل بأن النساء والرجال لديهم مفاهيم أخلاقية مختلفة ، جميعها مترابطة ومنطقية وشرعية . وذلك لأن اختلاف الخبرة بين الرجال والنساء تجعل أخلاقيات الرجل تدور حول مفاهيم العدالة والمساواة والقيادة والحقوق . في حين خبرة النساء المرتبطة بالأسرة تركز على تلك الأخلاقيات التي تدور حول احتياجات البشرية واهتماماتها . إلا أن تحيز النظريات الفلسفية والسيكولوجية هي التي جعلت من أخلاقيات الرجل شرعية ، وأعطت أخلاقيات المرأة صفة النقص والضعف .

قد تجد النساء في كتابات نسويات ـ التحليل النفسي من تحليلات مقنعة لحاجة المرأة إلى الحب ولرغبتها في التخلي عن مركز وظيفي من أجل التمتع بحياة عائلية حميمة ، ولاستعدادها للصفح عن سوء استغلال الرجل لها ونسيانه أو إهماله . ولكن نسويات ـ التحليل النفسي لايقدمن تفسيراً شاملاً لدونية الأنثى القانونية والسياسية والاقتصادية . ورغم ذلك فإن تحرر المرأة من كل ما يبعدها ويعوقها عن التقدم لابد أن يتطلب منها البحث عن كامل حقوقها وليست المدنية منها فقط .

ومن جملة الانتقادات الموجهة لهذا الاتجاه هو أن نسويات التحليل النفسي ـ تماماً كالنسويات الراديكاليات ـ يقدمن تحليلات وتفسيرات ذات طابع تعميمي ، لاسيما فيما يتعلق بمرحلة ماقبل الأوديبية والمرحلة الأوديبية ، متناسيات بذلك أن هذه المراحل قد تقدم تحليلاً جيداً ولكن ليس لكل زمان أو مكان . فهي أكثر مناسبة للوقت الحاضر وللمجتمع الغربي . يضاف إلى ذلك ـ وخلافاً للنسويات الراديكاليات ـ فشل تحليل نسويات ـ التحليل النفسي في تقديم قاعدة مادية أو تفسير مادي لاضطهاد المرأة ، بل على العكس اعتمد على البناء النفسي الذي اعتبرته الناقدات لهذا الاتجاه خيالياً .

5 – الاتجاه النسوي الاشتراكي

أما بالنسبة للاتجاه الاشتراكي socialist feminism لبعض النسويات فيمكن فهمه بشكل أفضل بوصفه اتجاها يجمع بين كل من الاتجاه الراديكالي والماركسي والتحليل النفسي . ظهر هذا الاتجاه نتيجة لاستياء بعض النسويات الماركسيات من تجاوز الفكر الماركسي للتقسيم الجنسي ووضع النساء الأدنى ، ومن اتجاه الماركسية إلى رفض اضطهاد النساء على أنه لايتوازى من حيث الأهمية مع اضطهاد العمال مفترضاً ، بأن ماتعانيه النساء على أيدي الرجال لايقارن بما تعانيه البرولتارية على أيدي البرجوازيين .

وبذلك أصبح الكثير من النسويات الاشتراكيات المعاصرات أكثر اقتناعاً بأن العيش في مجتمع طبقي ليس السبب الوحيد أو الرئيسي لاضطهاد النساء [11] . فعلى الرغم من دخول الكثير من النساء إلى سوق العمل واعتمادهن على أنفسهن اقتصاديّاً في الكثير من الدول الشيوعية ككوبا والصين والاتحاد السوفيتي قبل انهياره ، ظلت النساء في هذه المجتمعات تماماً – كما ظلت النساء في المجتمعات الرأسمالية – تحت قبضة البطريكية . ولذلك ترى النسويات الاشتراكيات أن بإمكان النسويات الماركسيات التقليديات تفسير الكيفية التي سببت بها الرأسمالية الفصل بين مكان العمل والمنزل تماماً كما تفسر الأسباب التي أصبح بها العمل المنزلي بدون قيمة . ولكن هؤلاء النسويات يعجزن عن تقديم تفسير منطقي للأسباب التي من أجلها حددت الرأسمالية النساء للعمل المنزلي والرجال للعمل الخارجي . لذلك ترى النسويات الاشتراكيات أن النسويات الماركسيات يعجزن عن تقديم أي تصور عن الكيفية التي يشغل بها الأفراد بعض الأماكن ، كما يعجزن عن تقديم تصور واضح للأسباب التي من أجلها تخضع النساء للرجال داخل الأسرة وخارجها .

ولذلك فالتصنيف الماركسي لايختلف عن الرأسمالي ؛ لأن كليهما يفشل في رؤية التقسيم الجنسي .

ولقد قامت النسويات الاشتراكيات بتطوير اتجاهين تنظيريين مختلفين هما : اتجاه نحو نظرية الأنظمة الثنائية dual systems theory ـ واتجاه نحو نظرية الأنظمة الموحدة unified - systems theory . كلا الاتجاهين يهدف إلى تقديم تفسير كامل عن اضطهاد النساء ولكن بطرق مختلفة . وترى نظرية الأنظمة الثنائية أن كلا من البطريكية والرأسمالية تقدمان نموذجين متميزين للعلاقات الاجتماعية من خلال مجموعة متميزة من الاهتمامات ، وأن هذين النموذجين يتسببان عند دمجهما في اضطهاد النساء بطرق تشتد صورها وأشكالها . ولذلك إذا أردنا أن نفهم حقيقة اضطهاد النساء بشكل متكامل لابد من تحليل البطريكية والرأسمالية بوصفها ظواهر منفصلة أولاً ، ثم بوصفها ظواهر يرتبط بعضها ببعض ثانياً . إلا أن اتجاه نظرية الأنظمة الثنائية يوصف بكثير من التعقيد . إن منظري الأنظمة المزودجة يتعاملون مع الرأسمالية بوصفها بناء ماديّا أو تاريخيّاً متأصلاً في نمط الانتاج . في حين أن القليل منهم فقط يصف البطريكية بوصفها بناء ماديّاً أو تاريخيّاً متأصلاً في نمط الإنجاب أو النمط الجنسي . والبطريكية للكثير منهم هي بناء غير مادي (معنوي) مما يعني أن البطريكية بناء أيديولوجي أو تحليلي نفسي تجاوز حدود الزمان والمكان .

وترى ميتشل (Mitchell 1971)[12] ممثلة الاتجاه القائل بأن البطريكية بناء غير مادي في مقابل الرأسمالية بوصفها بناء ماديّاً ، أن بعض الجوانب المعيشية للنساء داخل الأسرة هي في حقيقتها اقتصادية ، وذلك نتيجة للتغيرات التي طرأت على نمط الإنتاج . في حين أن البعض منها بيولوجي/ اجتماعي ؛ وذلك لأنها نتيجة تفاعل السمات البيولوجية للأنثى مع البيئة الاجتماعية . أما البعض المتبقي فهو أيديولوجي وهو نتيجة لنظرة المجتمع للطريقة التي ترتبط بها النساء بالرجال ، من ثم لا تؤثر التغيرات كثيراً في نمط الإنتاج وعلى الجانبين الأيديولوجي والبيولوجي/ الاجتماعي ؛ فكلاهما يظل ، كما هو ، أساسيّاً . ولذلك حتى تحت ظل الشيوعية ستظل النساء بشكل ما مضطهدات مالم تتغلب الشيوعية على البطريكية بالطريقة نفسها التي تتغلب بها على الرأسمالية . ولكن على الرغم من أن الجوانب الاقتصادية للبطريكية يمكن تعديلها بوسائل مادية من خلال تغيير نمط الإنتاج ، تظل

إمكانية التعديل من الجوانب الأيديولوجية والبيولوجية/ الاجتماعية بوسائل غير مادية فقط ؛ وذلك من خلال إعادة كتابة المواقف النفسية/ الجنسية التي تقوم بتشكيل الرجال والنساء بالشكل الذي نعرفه ولوقت طويل جداً .

ولكن هارتمن (Hartmann 1981)[13] ، القائلة بأن البطريكية والرأسمالية بناء مادي ، تعرف هذا الاتجاه أنه مجموعة من العلاقات الاجتماعية ، بين الرجال والنساء ذات أساس مادي ، خلقت من خلال التنظيم الطبقي تساندا واعتماداً متبادلاً بين الرجال مكنهم من السيطرة على النساء . هذا الأساس المادي يكمن في سيطرة الرجال على القوى المهنية للنساء . وتشكل هذه السيطرة بواسطة تقييد إمكانية دخول النساء لمجالات اقتصادية مهمة ، وأيضاً بواسطة منع النساء من التصرف في إمكانياتهن الجنسية وخاصة تلك المرتبطة بالقدرة الإنجابية ، إلا أن هذه السيطرة للرجال على القوى المهنية للنساء تتفاوت من مجتمع لآخر كما تتفاوت عبر الزمان . ولذلك ترى (Hartmann 1981) أن البطريكية تنشط غالباً في الحقل المادي لا في الحقل السيكولوجي .

وعلى العكس من ذلك يرى أصحاب النظرية الموحّدة ـ والتي تسعى لتفسير اضطهاد النساء من خلال استخدام مفهوم واحد لايفصل بين الرأسمالية والبطريكية ـ أن تحليل تقسيم العمل له الأفضلية لكونه أكثر تحديداً وشمولاً من التحليل الطبقي . إن التحليل الطبقي يهدف إلى مسح نظام الإنتاج بوصفه كُلاً ، مركزاً بذلك على أدوات الإنتاج وعلاقاته بشكل عام جداً ، في حين أن تحليل تقسيم العمل يركز اهتمامه على الفرد الذي يقوم بعملية الإنتاج في المجتمع . وإذ يدعو التحليل الطبقي إلى نقاش سطحي للأدوار الشخصية لكل من البورجوازيين والبرولتاريين ، يتطلب تحليل تقسيم العمل نقاشاً تفصيلياً محددا لعدة أمور مثل : من يعطي الأوامر؟ ومن يتلقاها؟ ومن يقوم بالأعمال المثيرة؟ ومن يقوم بالأعمال الكادحة؟ من يأخذ ساعات العمل المرغوبة؟ ومن يأخذ ساعات العمل غير المرغوبة؟ من يدفع له أكثر؟ ومن يدفع له أقل؟ وبوضوح يستطيع تحليل تقسيم العمل أن يفسر بشكل أفضل لماذا تقوم النساء عادةً بتلقي الأوامر ، والقيام بالعمل الكادح ، وبأخذ ساعات العمل غير

المرغوبة وبنيل الأجر الأقل . ويصر ممثلو هذا الاتجاه على تحليل تقسيم العمل على أنه بديل لامكمل للتحليل الطبقي . وذلك لأن تهميش النساء وتمثيلهن لقوى ثانوية في سوق العمل إنما هو سمة جوهرية وأساسية للرأسمالية .

ويقوم الاتجاه نحو نظرية الأنظمة الموحدة بتقديم مفهوم الاغتراب بوصفه مفهوما واحداً أيضاً . وترى الماركسية أن العمل تحت ظل الرأسمالية يصبح نشاطاً غير إنساني ؛ لأنه منظم بطريقة تضعنا على مسافة تفصلنا من كل شيء وكل فرد بما في ذلك أنفسنا . وترى أيضاً أن الرأسمالية تتطلب مشاركةً مباشرة حتى يتولد لدينا الشعور بالاغتراب ، وهذا يعني أن النساء اللواتي يقمن بعمل غير مدفوع الأجر لايعرفن الاغتراب ، في حين أن النساء اللواتي يقمن بعمل مدفوع الأجر يتعايشن مع الاغتراب بالطريقة نفسها التي يشعر بها الرجل . لذلك لايرى هذا الاتجاه أن بالتعامل مع روح هذه الأفكار لا معناها المباشر يمكننا أن نقدم معنىً وتفسيراً للاغتراب تبعاً لكل النساء وكل امرأة .

وتنظم جاكار (Jaggar 1983) [14] نقاشها للاغتراب حول ثلاثة موضوعات : جنسية المرأة والأمومة وعقلانية المرأة . فبالطريقة نفسها التي يشعر بها العامل بالاغتراب عما ينتجه من عمل تشعر المرأة بالاغتراب عما تمارس على جسدها من عمل . فقد تقول المرأة إنها تمارس الرياضة للياقة ، أو تتجمل لنفسها ولكن في الحقيقة هي تحسن شكلها وتزخرفه من أجل الرجل . والأمومة تماماً كجنسية المرأة تتعايش المرأة من خلالها مع تجربة اغتراب . فالمرأة ـ كما تقول (Jaggar 1983) [15] تتعامل مع قدرتها الإنجابية باغتراب عندما يقوم غيرها بتقرير عدد الأطفال التي يمكن أن تنجبهن . ففي بعض المجتمعات حيث تقدر عمالة الأطفال كعمالة الكبار تماماً ، يتوقع من النساء الإنجاب مادامت لديهن القدرة الجسدية على ذلك . في حين أن المجتمعات التي تنظر للأطفال بوصفهم عبئاً اقتصادياً تهبط عزيمة النساء من تكرار الإنجاب بالشكل الذي قد يرغبن به . ولذلك تتعرض الكثيرات من النساء لعمليات إجهاض أو تعقيم غير راغبات فيها .

وترى (Jaggar 1983)[16] أن النساء يتعايشن مع الاغتراب لا من خلال جنسيتهن أو أمومتهن فقط ، فهن أيضاً مغتربات عن قدراتهن العقلية . فلقد جعلت المرأة تفقد الثقة في نفسها للدرجة التي تتردد بها في التعبير عن آرائها العامة ، وذلك خوفاً من أن تكون تلك الأفكار غير جديرة بالذكر ، ومن أن ينظر إليها باستخفاف . وهذا مكن الرجل وحده من تحديد مصطلحات الفكر والمنطق .

وقد انتقدت نظرية الأنظمة الثنائية لافتراضها أن خضوع المرأة للرجل سمة تتصف بالعمومية والشمول . فهي السمة الظاهرة في كل المجتمعات بغض النظر عن التغيرات التاريخية . ويرى ممثلو هذا النقد **أولاً** : أن هذا الافتراض يولد إحساساً باليأس بين النساء إلى جانب تسببه في محاباة ثقافية عرقية عنصرية وطبقية جدية بناء على ما يدعيه من تصور عام للبطريكية . فزوجة رجل الأعمال لاتعاني من البطريكية بالطريقة نفسها التي تعيشها زوجة العامل . **ثانياً** : يرى هذا النقد أن هذا الافتراض يولّد انطباعاً كاذباً وبسبب وجود البطريكية في فكر الجميع وعقولهم بأنها من ثم لاتحمل ظلماً مشابهاً لظلم الرأسمالية للنساء .

كما انتقدت نظرية الأنظمة الموحدة انطلاقاً من موقفين . الأول يقوم على أن الجمع بين قضية المرأة والأوضاع الاقتصادية في اتجاه نظري واحد يؤدي **أولاً** : إلى دمج القضايا الأساسية للنسوية كالإنجاب ، والتربية والقضايا الجنسية للمرأة مع تحليل ماركسي ثابت لايتغير . و**ثانياً** : يؤدي هذا الجمع إلى اختزال قضية المرأة إلى قضية عمل وعامل .

6 – الاتجاه النسوي الوجودي

من الواضح أن كتاب الجنس الثاني (The Second Sex) لسيمون دي بوفوار ، Simone de Beauvoir حقق ـ وعلى مدى ثلاثين عاماً ـ تلك المكانة البارزة في الفكر النسوي الكلاسيكي والتي تجعل أي مقدمة للفكر النسوي لاتقترب من الشمولية بدون مناقشته وعرضه . لقد ساعد هذا الكتاب الكثير من النسويات على فهم الأهمية الكاملة للنساء بوصفهن «آخر» .

تـرى (1988 de Beauvoir)[17] بوصـفـهـا ممـثلة للـتـيـار النـسـوي الوجـودي Existentialist Feminism بأن الـرجل ومنذ القـدم سـمى نفـسـه «بالذات» والمرأة «بالآخـر» ، ومن ثم إذا كـان في «الآخر» تهـديد «للذات» فـالمرأة تهـديد للرجل . وإذا أراد الرجل أن يظل حـراً يجب عليه إخضـاع المرأة له . هذا لا يعني بالتـأكيـد أن المرأة هي «الآخـر» الوحيـد الذي يعيش الاضطهـاد . فالسـود يعـرفون معنى الاضطهـاد من قبل البيض ، والفقـراء يعرفـون أيضـاً معنى الاضـطهاد من قبل الأغنيـاء . ولكن يظل اضطهـاد المرأة فـريداً ومميزاً لـسببين . **الأول** : أنه ، بخـلاف اضطهـاد العرق والـطبقـة ، ليس حقيقة «تاريخية» متوقعة . **ثانياً** : أن النساء أدمجن في أنفسهن موقف الاغتراب القائل بأن الرجل هو «الأصل» والمرأة هي «الفرع» .

وينتـقـد الاتجـاه الوجـودي عـدم قـدرة الاتجـاهات الـنظرية والفلسـفـيـة سـواء منـهـا البيولوجية أو السيكولوجية (الفرويدية) أو الماركسية على تفسير : لماذا المرأة وليس الرجل هو الآخر ، على الرغم من أهمية التحليلات والمبررات المقدمة حول اضطهاد المرأة .

كما ترى de Beauvoir أن الفروق البيولوجية تقدم حقائق يقوم المجتمع بتأويلها بطريقة تخدم بها غايته ؛ فبالإمكانيات البيـولوجية تعرف فروقاً أساسية قائمة بين المرأة والرجل تتمثل في الدور الإنجابي لكل من الذكر والأنثى .

ففي اللحظة نفسها التي يقوم بها الحيوان المنوي بالتسبب في الحياة لمخلوق آخر يصبح غـريبـاً عن الرجل الذي خـرج منه أو من جسـده ، ومن ثم يستـعـيـد الرجل فـرديته . ولكـن وعلى العكس من ذلك لاتنفصل عن جسد المرأة إلا عندمـا يكتـمل نموها . ولذلك ترى (1988 de Beauvoir)[18] أن هذه الحقائق البيولوجية تفسر لنا لماذا يصعب على المرأة أن تصبح «ذاتها» «خاصة» عندما يكون لها طفل ، على الرغـم من أن إحساسها بذاتهـا لايقل عن إحساس الرجل بذاته . ولذلك فإنه ـ وعلى الرغـم من السمات البيولوجية والسيكولـوجية الخاصة بالمرأة ـ كدورها الأساسي في الإنجاب في مقابل الدور الثانوي للرجل ، وضعفها الجسدي في مقابل قوة الرجل الجسدية ، تظل الفكرة العـامة لدى de Beauvoir قائـمة على أسـاس أن القيـمة المرتبطة بهـذه الحقـائق تعود لنا بوصفنا مخلوقات اجتماعية .

و ترى de Beauvoir [19] تحديداً أن كتابات فرويد الخاصة بالمرأة «كآخر» ضعيفة وناقصة . فنظرية فرويد حول إحساس البنت بالدونية لافتقارها العضو التناسلي الذكوري ، وهو الذي يجعل من مكانة المرأة الاجتماعية الدنيا شيئاً لايمكن تجنبه ، في تقديرde Beauvoir ، ما هو إلا تحليل نفسي ضعيف . فمعاناة المرأة القائمة على غياب هذا العضو كما تدعي الفرويدية ماهو إلانتيجة رغبة النساء في الحصول على المميزات المادية والسيكولوجية التي يتمتع بها الرجل وليس رغبة في عضو تناسلي ذكوري . إن مميزات الرجال ـ كما تلاحظ de Beauvoir ـ لايمكن إرجاعها إلى ملامح جسدية ذكورية . على العكس ، إن مكانة العضو الذكري يمكن تفسيرها بإرجاعها إلى سيادة الأب . ولذلك تشكل النساء الجنس الآخر بسبب افتقارهن للسلطة وليس للعضو الذكري .

وكنموذج للاتجاه الوجودي نظرت de Beauvoir[20] للمرأة وميزت «ذاتاً» عرفها الرجل «كآخر» . ومن أجل تحديد المبررات لهذا التعريف لاحظت de Beauvoir أنه في الوقت الذي تؤكد فيه النساء أنفسهن فاعلات ومخلوقات حرة تظهر فكرة «الآخر» . ومنذ تلك اللحظة تصبح العلاقة مع «الآخر» دراماتيكية ، ويصبح في وجود «الآخر» تهديد وخطورة ، ولأسباب عدة ، معظمها يرتبط بالتحرر من العبء الإنجابي . فربما توافر للرجل الوقت والطاقة لاستخدام الهواء والريح والنار والماء من أجل اختراع واكتشاف أدوات ساعدته على تشكيل المستقبل ، ورأى في نفسه الفاعل القادر على المغامرة بحياته في قتال أو خلاف . يرى الرجل في النساء ذلك الكائن الخاضع القادر فقط على الإنجاب ، ومن ثم فليست القدرة على إعطاء الحياة بل المغامرة بها ما جعل الرجل يتفوق على المرأة . وبذلك أعطيت السيادة والفوقية ليس للجنس الذي يجلب الحياة ولكن لذلك الذي يسلبها . وبسبب تلك الفروق المدعاة أبعدت النساء من قبل الرجال إلى حيز الآخر ، ذلك الحيز شديد الارتباط بالجسد .

أما النقدالموجه لكتاب الجنس الثاني لـ de Beauvoir فيمكن تلخيصه في ثلاث نقاط رئيسة . الأولى : أن الكتاب لايمكن الوصول إليه من قبل معظم النساء ،

فالمفاهيم التي يقوم عليها مثل الوجود ، الوجود للذات والوجود في الذات جميعها مفاهيم لم تنبع مباشرة من خبرة النساء المعيشية ولكن من تنظير تجريدي فلسفي . ثانياً : تعترض إيلشتين (Elshtain 1981)[21] على الكيفية التي تعاملت بها دي بوفوار مع جسد المرأة والتي ترى أنها تعاملت معه بوصفه شيئاً سلبيّاً ، غير محظوظ وغير مهم أي بوصفه قذراً ومخزياً . وترجع (Elshtain 1981) ذلك إلى نظرة الوجود لجسد المرأة بوصفه عبئاً كميّاً ونوعيّاً عليها بخلاف جسد الرجل . فخوف de Beauvoir كما يرى هذا النقد جعلها تهاجم مؤسسات الزواج والأمومة بوصفها مؤسسات جائرة لابد للمرأة من رفضها . وأخيراً انتقدت de Beauvoir لتقبلها وربما احتفالها بمفاهيم وقيم ذكورية ؛ فكل انتقاد تقدمه de Beauvoir لجسد المرأة ينبع من سمات لجسد الرجل .

7 – نسويات مابعد الحداثة

غير أن كتاب The Second Sex قد قدم لنسويات مابعد ـ الحداثة جزءاً من تنظيرهن . كان يطلق على كل نسويات ـ مابعد الحداثة وحتى وقت قريب النسويات الفرنسيات ، وذلك لأن معظم النساء اللواتي حملن هذا التنظير كن إما فرنسيات أو مقيمات في فرنسا ، وخاصة باريس . وجذب مصطلح نسوية ـ مابعد الحداثة (post-modern feminism) الانتباه عندما أدرك القارئ أن مايجمع كاتبات مثل إريجاري وسيسو وكريستيفا Cixous, Irigaray and Kristeva هي وجهة النظر الفلسفية التي يعرضنها وليست فرنسيتهن . وهن يشتركن في وجهة النظر تلك مع منظري مابعد الحداثة من أمثال لاكان و ديريدا J. Lacan and J. Derrida . ويقوم هذا الاتجاه على تسليط الضوء على التناقضات الداخلية التي يحملها نظام الأفكار الموجه لهدم تلك المفاهيم المرتبطة بالسلطة والهوية والذات . فجميع نسويات هذا الاتجاه شديدات الاهتمام والحرص على إعادة تفسير تقاليد التحليل النفسي الفرويدي النظري والتطبيقي . كما أن معظم جذور نسويات ـ مابعد الحداثة توجد في أعمال الكاتبة Simone de Beauvior والتي أثارت السؤال الأساسي للنظرية النسوية القائل (لماذا

المرأة جنس ثان؟) أو كما تصوره نسويات ـ مابعد الحداثة (لماذا المرأة هي «الآخر»؟) .

وتأخذ نسويات ـ مابعد الحداثة مفهوم de Beauvior للآخر ولكن بعد أن يقلبنه . فالمرأة ما تزال «الآخر» ، ولكن بدلاً من تفسير هذا الوضع على أنه أمر يجب الترفع عنه والسمو فوقه ، فإن نسويات ـ مابعد الحداثة يصرحن بمزاياه . فوضع «الآخر» يمكن النساء من التواري ؛ ومن ثم انتقاد القيم والمعايير والممارسات التي تنشد الثقافة البطريكية المسيطرة لفرضها على الجميع بما فيهم أولئك الذين يعيشون على هامشها ـ وفي هذه الحالة هن النساء ـ ؛ ولذلك فمفهوم «الآخر» وبكل ارتباطه بالاضطهاد والدونية هو أكثر من مجرد مضطهد ودوني . كما أن التفكير والنقاش سيفتحان الطريق للتعددية والاختلاف والتنوع .

وبذلك يتمثل خط نسويات ـ مابعد الحداثة الأساسي في تأكيد الجانب الإيجابي في «الآخر» إذ يبقى مُبعداً ومُتجنباً ومُجمداً وخاسراً ومرفوضاً وغير مرغوب به وغير مميز وهامشياً . ويقوم الاتجاه بأخذ نظرة نقدية تجاه كل شيء بما في ذلك الأفكار المحددة والممارسات الاجتماعية غير العادلة ، بالإضافة إلى التشكيلة البنائية التي يوجدن بها ، واللغة التي يفكرن بها ، والنظام الذي يحتمين به . إن هذه الحركة هي حركة ضد الأصول والمثالية ، وذلك لايظهر فقط في اعتبارها البحث عن تعريفات ومسميات شاملة بوصفها شيئاً غير أساسي ، ولكن أيضاً في تحدّيها الفعّال للحدود التقليدية بين التعارض والتضاد في مفاهيم مثل العقلانية/ العاطفية ، والجمال/ القبح ، والذات/ الآخر . وتلك الحدود الفاصلة بين العلوم مثل الفنون وعلم النفس والأحياء .

ويستمر جدل نسويات ـ مابعد الحداثة ليشمل بعضاً من الافتراضات المهمة التي تشترك فيها الأغلبية . تلك الافتراضات تقول بوجود وحدة أساسية عبر الزمان والمكان معروفة بالهوية الذاتية ، وبوحدة أساسية أخرى قائلة بوجود ارتباط أساسي واحد بين اللغة والواقع والمعروفة بالحقيقة ؛ فالرأي القائل بوجود ذات متحدة

ومكيفة طعن فيه من خلال الرأي القائم على أن الذات في أساسها مقسمة بين بعدين ، بعدالشعور وبعد اللاشعور . كذلك الرأي القائل بوجود حقيقة طعن فيه من خلال الفكرةالقائمة على أن العلاقة بين اللغة والواقع متنوعة ومتنقلة ؛ من ثم فالكلمات لا تعبر عن الأشياء أو عن أجزاء من الحقيقة بل إن الحقيقة تراوغ اللغة في الوقت الذي ترفض فيه اللغة تقييدها بالحقيقة .

فالفكرة القائلة بانعدام وجود كل من الهوية الذاتية والحقيقة ، وأن النظام الموجود في حياتنا وفي لغتنا ماهو إلا بناء وشكل مفروض وغير أساسي . تلك الفكرة استرعت انتباه كتاب ومنظرين أمثال هيلين سيسو Helen Cixous ولوس اريجاري Luce Irigaray وجوليا كريستيفا Julia Kristeva ، بيد أن تلك لم تكن الفكرة الوحيدة التي شدت اهتمامهن . فلقد تداولت نسويات هذا الاتجاه أيضاً فكرة النظرية التفكيكية (Deconstructionists) القائمة على أن اللغة وبعدة طرق تقوم على إبعاد الأنوثة عنها . ولذلك وعلى الرغم من الملاحظات المزعجة التي قدمها Lacan and Derrida حول جنسية المرأة ، فقد تناولت نسويات ـ مابعد الحداثة آراءهما عن الأنوثة المبعدة بشكل كبير جداً .

ولهذا ترى نسويات ـ مابعد الحداثة [22] صعوبة تحدي القيم الرمزية القائمة ، لاسيما عندما تكون المصطلحات الوحيدة التي يمكن استخدامها في تحقيق ذلك هي المصطلحات التي قدمتها هذه القيم . وذلك لأن الخطورة في القيام بهذا الأمر تتمثل في أن الإصرار على وجود الازدواجية والتعددية والاختلاف سيؤدي بنسويات ـ مابعدالحداثة إلى التأكيد ؛ إما على غيبيات تقليدية أو معايير حقيقية مُدَّعاة . هذه الخطورة هي التي دفعت نسويات ـ مابعدالحداثة لرفض أي مسميات أو تصنيفات تنتهي بأي نظرية أو مذهب مميز ؛ فتلك المسميات تمثل قلقاً لنسويات ـ مابعدالحداثة ؛ لحملها الرغبة لتنظيم مفاهيمنا البشرية وتأطيرها بأطر عقلانية . بالرغم من ذلك يظل من الصعب عدم إطلاق تسمية نسويات على كلٍ من Cixous, Irigaray and Kristeva ، خاصة وأنهن يقدّمن للنساء أكثر الآراء الراديكالية دعوة للتحرر من الجذور ؛ وهي الدعوة للتحرر من الأفكار المضطهدة .

ويقوم معظم النقد لنسويات ـ مابعدالحداثة على الصورة النمطيةالتي يحملها الكثيرون من الأكاديميين بوصفهم أفرادا يعيشون في أبراج عاجية بعيدين عن العالم الحقيقي ، أي عقولا تعيش في عالم من الأفكار لا أجسادا تنزف أو تكافح أوتتعب . وبعض من النقاد يتمثل الرفض عندهم لنسويات ـ مابعدالحداثة برفض الانشغال بمناقشة أفكار أقل مايمكن أن يقال عنها إنها أفكار الصفوة ، تلك الطبقة التي انسحبت من الجهاد والاعتراض إلى جنة فلسفيةمحاطة بأصدقاء يشتركون معهم في حمل أفكار واحدة . فنسويات ـ مابعدالحداثة يستخدمن لغة و «أفكاراً» بشكل يمنع الآخرين من فهم الكيفية التي يعملن بها . ومن ثم ومع الوقت يصبح ما ينادين به بعيداً عن وضع معظم النساء .

كما انتقدت نسويات ـ مابعدالحداثة [23] لمحاولتهن وضع المرأة في مكانة أعلى من الرجل ، والأنوثة في مكانة أعلى من الذكورة . وانتقدت بالتحديد كتابات كل من Cixous and Irigaray لمحاولتهن خلق لغة أنثوية ومجتمع أنثوي خارج عن لغة ذكورية ومجتمع ذكوري ؛ مما سيؤدي إلى اتجاهين لا أكثر،اتجاه نحو فاشية بطريكية أو آخر نحو فاشية أمومية . ويقوم النقد الأخيرعلى إمكانية وجود حالة كاملة من التشويش قد تسببها الافتراضات الفلسفية لنسويات ـ مابعد الحداثة ، وذلك لخوف النساء والنسويات من عدم تمكنهن من الارتباط بوصفهن جماعة ذات مصالح مشتركة لما تطرحه نسويات ـ مابعد الحداثة من آراء مؤكدة للتعددية والتنوع والاختلاف .

الخاتمة : النسوية والمجتمع العربي

إن النسوية في المجتمع العربي تدخل ضمنياً بوصفها جزءاً فيما يطلق عليه في الغرب «النسوية في العالم الثالث» . ولما كانت الاختلافات بين نساء العالم الثالث والنساء في أوروبا وأمريكا أحدالقضايا الأساسية المرتبطة بالنسوية ، برزت العديد من الكتابات لنسويات تربط اضطهاد النساء في أوروبا وتهميشهن بمفهومي التقسيم

الجنسي (gender) والعلاقات الطبقية (class) . وكلا المفهومين بالإضافة إلى العرقية والإمبريالية يرتبط باضطهادالنساء في العالم الثالث . هذه الأبعاد الإضافية لقضية وضع المرأة في العالم الثالث تشكل ثلاثة محاور مختلفة لابد من استيعاب كفاح المرأة في هذه المجتمعات وفهمه من خلالها .

وترى شيريل ـ جونسون ـ اوديم (1991 Cheryl Johnson - Odim)[24] أنه بينما كان عقد السبعينيات قد شهد بدايات تشكيل حركة نسوية عالمية ، كانت العديد من نساء العالم الثالث قد بدأن يخرجن لتوهن من كنف الاستعمار ، كما أن العديد منهن ـ اللاتي يعشن في الغرب ـ كن أيضاً يبرزن من خلال أهم حركات حقوق الإنسان في القرن العشرين . ولذلك لم يجلب الاستقلال أو القوانين التي أقرت بوصفها نتيجة لحركة الحقوق المدنية تحسناً فورياً في الوضع والمعيشة بالنسبة للغالبية من نساء العالم الثالث . ومما لاشك فيه ، شكلت هذه العوامل الأساس في مفهوم النسوية بوصفها فلسفة وحركة للعدالة الاجتماعية في هذه المجتمعات . ولذلك فإن أي تحليل قائم على التقسيم الجنسي وحده دون إبراز قضايا الاختلاف العرقي والطبقي لن يصف معاناة نساء العالم الثالث بشكل دقيق .

وترى إ .ليكوك (1977 E. Leacock)[25] أنه ليس مهمّا في المجتمعات النامية مجرد توزيع المصادر داخليّا ، ولكن توليدها والتحكم فيه هو الأهم . وليس الأمر فقط إيجاد فرص متساوية بين الرجال والنساء ولكن خلق الفرص نفسها . وليس الأمر كذلك وضع المرأة في المجتمع ولكن وضع المجتمعات التي وجدت نساء العالم الثالث نفسها فيها .

وهكذا فإن نساء العالم الثالث لا يستطعن تبني فكرة المعاملة المتساوية بين الجنسين ، وكذلك مبدأ تكافؤ الفرص بينهما فقط ، تلك التي تنشدها النسوية ، ولكن تستطيع نساء العالم الثالث تبني مفهوم الهويةالجنسية ورفض أية أيديولوجية قائمة فقط على التقسيم الجنسي . ولذلك فإن النسوية في هذه المجتمعات يجب أن تكون أيديولوجية كاملة وشاملة .

وترى مـارينا لزرق (Marnia Lazreg)[26] أن في قلب النسـوية في الشـرق والغرب رغبة أكيدة في تفكيك النظام القائم في المجتمع وإعادةتركيبه ليواكب حاجاتهن . إلا أن النسوية في الشرق والغرب تختلفان حول المفهوم والأدوات الواجب استخدامها لتفكيك النظام ، كما تختلفان حول مدى إمكانية تغير الأشياء في المقام الأول . فالنسويات الغربيات فعلياً يستطعن إعادة اكتشاف أنفسهن كنساء ، وكذلك يستطعن إعادة تعريف أنفسهن وإعادة اكتشاف المعرفةالخاصة بهن ، ولا يعوقهن سوى مايعيه الجميع بسيطرة الذكر "Male domination" ، وعلى الأغلب تعمل النسويات الغربيات على أرضيتهن الاجتماعية والفكرية وتحت الافتراض المسلم به ضمنياً بأن مجتمعاتهن «كاملة» .

وعلى العكس من ذلك ، فإن مشروع نسويات الشرق الأوسط يبرزضمن إطار خارجي من المصادر وتحت ما يساويه من المعايير الخارجية . تحت هذه الظروف ، يتواكب وعي المرأة بنفسها ، مع الإدراك بأن ذلك الوعي قد تم تشكيله بشكل أو بآخر بواسطة آخرين من الخارج ؛ نساء ورجالاً على السواء . ومن هذا المنطلق ، فإن مشروع النسوية في الشرق قد تم تشويهه ، وعليه فإنه نادراً ما سيأتي بأية قابلية للتحرر الشخصي كالذي يمكن حدوثه في أمريكا وأوروبا .

وقد شكلت مقتطفات الشعر والقصص والروايات والمقالات الصحفية والخطب أول مجموعة الكتابات النسوية النسائية العربية . في حين ظهر مصطلح النسوية ضمنياً [27] في العالم العربي في عام (1909) عندما أصدرت ملك حفني ناصف ، تحت اسم مستعار «باحثة البادية» ، مجموعة مقالات وخطب في كتاب بعنوان «نسائيات» نادى بتحسين وضع المرأة المعيشي ، وبفرص تعليم جديدة ، واسترداد للحقوق المعطاة للمرأة في الإسلام . وتدعي بعض النسويات العربيات ـ كما تناقش م . بدران و م . كوك (M. Badran & M. Cooke 1990)[28] – أن النسوية العربية نمت حال ظهورها بذرة طبيعية في العالم العربي كما هي جزء من الظاهرة العالمية . في حين يرى آخرون أنها مفهوم غربي ودخيل على العالم العربي . أما نظرة الغرب للنسوية العربية فهي تنقسم مابين ثلاثة آراء : الرأي القائل باستحالة

بروز فكر نسوي نظراً لثقافة المجتمع العربي المضطهدة للنساء ، ورأي قائل بأنها ظاهرة عربية متفردة ، وأخيراً الرأي القائل بأنها مظهرمحلي للنسوية العالمية .

وقد شهدت الفترة من 1860 إلى بداية 1920 في المجتمع العربي انبثاق ما يسمى النسوية المتوارية invisible feminism . وقد ظهرت دلائل وتعبيرات تشير لذلك في كتابات نساء من الطبقة الوسطى والعليا والتي تم تداولها بين النساء وفي المجلات المهتمة بشؤون المرأة مثل الفتح (1982) وأنيس الجليس (1893) وفتاة الشرق (1906) .

أما الفترةالثانية فقد شهدت منذ أواخر العشرينيات حتى نهاية الستينيات بروز حركة نسوية أهلية منظمة . فقد ظهرت حركة نسوية نشطة في مصر منذ العشرينيات حتى منتصف الخمسينيات ، وفي لبنان وسوريا والعراق منذ الثلاثينيات حتى الأربعينيات ، وكذلك في السودان في الخمسينيات . وقد بدأت حكومات الدول العربية ، منذ بداية عام 1950 وحتى الستينيات ، تتعايش مع الحركات النسوية المستقلة ، تكبح جماحها لكن دون قضاء على استقلاليتها أو على أصوات عضواتها . ولأغراضها الخاصة ، قامت الحكومات العربية بصياغة برامجها الخاصة للمرأة وكيفية تقدمها .

أما الفترة الثالثة ، منذ بداية السبعينيات حتى الآن ، فقد شهدت إعادة انبعاث التعابير النسوية في كل من مصر ولبنان وسوريا والعراق ، كما شهدت بعض الدول العربية الأخرى الموجة الأولى من النسوية في أثناء هذه الفترة .

وتكاد النسوية العربية المعاصرة أن تنطلق وتنتهي عند الفكرة العامة للمساواة ولذلك من الصعب تحديد اتجاهات واضحة للنسويات العربيات تعادل الاتجاهات الفكرية والتحليلية للأكاديمية النسوية في الغرب . وعلى الرغم من ذلك يمكن القول بأن الطرح العربي النسوي يأخذ الملامح العامة لكل من الاتجاهات الليبرالية والراديكالية والاشتراكية والماركسية . فالنسويات العربيات تناولن قضايا مثل الطبقية

والبطريكية وتساوي الحقوق والفرص . كما ناقش الكثير منهن القيم الثقافية / الدينية المرتبطة بالمرأة مثل مفاهيم العورة والفتنة والحجاب وتعدد الزوجات والقوامة .

وترى (1990 M. Badran & M. Cooke) [29] أن خطاب النسويات العربيات تناول موضوعات عالمية مشتركة ، مثل التعليم ، والعمل ، والحقوق فيما يتعلق بالزواج ، والتصويت ، وفي الوقت نفسه تناول موضوعات أخرى مثل الخروج من دائرة الفصل الجنسي . وعلى خطا المرأة في العالم الثالث ، وعلى النقيض من المرأة الأوروبية ، فإن المرأة العربية كان لزاما عليها تقليديّا أن تشق طريق تعبيرها النسوي وسط مجتمعات زراعية وبدوية تطورت نحو المدنية حديثا ، وفي مجتمعات ما تزال الثقافة الموروثة هي المنظم الأهم للحياة اليومية والمصدر الأول للهوية .

وتكمن معضلة النسويات العربيات على المستوى الفكري في الارتباط القوي ، الذي تؤكد عليه نسويات الغرب ، بين الإسلام ووضع المرأة في المجتمعات الإسلامية [30] . هذا الارتباط الذي غالباً ما يرفض من قبل النسويات العربيات على اعتبار أن المجتمعات الإسلامية هي نتاج تاريخ وأيضا على ، اعتبار أن الكثير من الممارسات المضطهدة للمرأة لا تستند على أية نصوص دينية .

أما معضلة النسويات العربيات على المستوى المنهجي ، فتكمن في موضوعات تدخل ضمن الطرح النسوي ، هي موضوعات ذات خصوصية ، كما تصنف ثقافيّا .

فموضوعات مثل العنف ، والاعتداء الجنسي ، والعلاقات الأسرية ، ومفاهيم كالعفة والشرف لا تستطيع النسوية العربية مناقشتها دون الخضوع لتحفظ مجتمع البحث العربي واللغة العربية .

ويظل النشاط النسوي العربي غير مقيد فقط بعمل جماعي واع ومنظم ، بل من الممكن أن يظهر بوصفه عملا يوميّا مؤطراً بقليل من الوعي النسوي ، أو حتى من دونه .

الهوامش والمراجع

- Tong R. (1992) **Feminist Thought**. London: Routledge. p. 36 (1)
- Foreman A. (1977) **Feminity as Alienation: Women and the Family in Marxism and Psychoanalysis.** London: Pluto Press. p. 65 (2)
- Benston M. (1969) The Political Economy of Women's Liberation. **Monthly Review,** Vol. 21 No. 4 p. 16 (3)
- Tong R. Ibid. p. 71 (4)
- Firestone S. (1970) **The Dialectic of Sex**. New York: Bantam Books. Pp 1-12 (5)
- Oakley A. (1974) **Women's Work: The Housewife, Past and Present.** New York: Pantheo Books. p. 186 (6)
- K. Millett (1970) **Sexual Politics.** New York: Doubleday. P. 178 (7)
- M. French (1985) **Beyond Power: On Women, Men and Morals.** New York: William Morrow. p. 72 (8)

ترى نسويات ـ التحليل النفسي أن جذور اضطهاد المرأة مغموسة في روحها بسبب مرحلة ما قبل الأوديبية . (9)

- Williams, J. (1977) **Psychology of Women.** New York: W.W. Norton p. 27 (10)
- Bergmann, B. (1968) **The Economic Emergence of Women.** New York: Basic Books p. 267 (11)
- Mitchell J. (1971) **Women's Estate.** New York: Pantheon Books. pp. 100-101 (12)
- Hartmann H. (1981) "The Unhappy Marriage of Marxism and Feminism: Towards a More Progressive Union" In Lydia Sargent, ed. A **Discussion of the Unhappy Marriage of Marxism and Feminism.** Boston: South End press. p. 6 (13)
- Jaggar A. (1983) **Feminist Politics and Human Nature.** Totowa, N.J.: Rowman & Allanheld. p. 353 (14)
- Jaggar Ibid p. 310 (15)
- Jaggar Ibid p. 316 (16)
- de Beauvoir S. (1988) **The Second Sex.** Translated & Ed. By H.M. Parshley. London: Pan Bookd Ltd. p. 24 (17)
- Ibid. p. 41 (18)
- Ibid. p. 55 (19)
- Ibid. pp. 89-90 (20)
- Elshtain J. (1981) **Public Man, Private Woman.** New York: Princeton University Press. p. 306 (21)
- Tong. Ibid. p. 223 (22)

- Tong. Ibid. p. 232 (23)
- Johnson-odim, C. (1991) Common Themes, Different Contexts. **In Third World** (24)
Women and Women and Politics of Feminism. Chandra T. Mohanty. ed. U.S.A. (25)
Indiana University Press. p. 316
- Leacock, E. (1977) "Reflections on the Conference on Women and Development: III." (26)
Signes 3, no. 1 pp 320-322
- Lazreg, M. (1988) "Feminism and Difference: the Perils of Writing as a Woman on (27)
Women in Algeria. **Feminist Studies**. Vol. 14. no. 1. pp. 81-107.
- Badran, M. and Cooke. M. (1990) **Introduction in Opening the Gates: acentury of Arab** (28)
Feminist Writing. M. Badran & M. Cooke eds. U.S.A. Indiana University Press. p. 17
- Badran, M. & Cooke, M. (1990) Ibid. p. 33 (29)
- Majid, A. (1998) "The Politics of Feminism in Islam". **Signs. vol.** 23. no. 2 pp. 321-361 (30)

❊ ❊ ❊